أبحاث في المخطوطات

- تحقيق مخطوطات العلوم الإسلامية
- أبو العباس أحمد الونشريسي ومخطوطه:
المنهج الفائق في علم الوثائق

تأليف : الدكتور أحسن مرقّور

أستاذ محاضر في الفقه الإسلامي وأصوله ومقاصد الشريعة

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران - الجزائر

منشورات دار الأديب

أبحاث في المخطوطات

- تحقيق مخطوطات العلوم الإسلامية
- أبو العباس أحمد الونشريسي ومخطوطه: المنهج الفائق في علم الوثائق

تأليف

الدكتور أحسن زقور

أستاذ محاضر في الفقه الإسلامي وأصوله ومقاصد الشريعة

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

جامعة وهران – الجزائر

منشورات دار الأديب

جميع الحقوق محفوظة

منشورات دار الأديب
حي باهي اعمر السانيا وهران
الهاتف: 041 58 31 35
ردمك: ISBN: 978-9961-793-92-3
الإيداع القانوني: Dépôt Légal: 1553-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

تحقيق مخطوطات العلوم الإسلامية

مُقَدِّمَة

مما لا شك فيه أن كل الحضارات الإنسانية قد قامت على العلم.

وأنه لا يمكنها أن تقوم على علم واحد وإنما تقوم على علوم شتى في كل نواحي الحياة التي قامت عليها وازدهرت فيها، وكان لها السبق فيها على سائر الحضارات المعاصرة لها أو السابقة عنها أو اللاحقة بها.

ومما لا شك فيه أن كل العلوم قد كتبت أول ما كتبت في مخطوطات خاصة بمؤلفيها، كتبوها بأيديهم أو أملوها على من تولى كتابتها عنهم، خاصة في تلك العصور التي سبقت ظهور الطباعة للكتب ولغيرها من المنشورات.

وهذه المخطوطات التي ظهرت في العصور ما قبل الطباعة كانت الوسيلة الوحيدة لنشرها: هو أن يتولى الناسخ استنساخها ثم توزيعها على من يرغب فيها بالمقابل أو بدونه...

ولقد استمر الحال هكذا قرونا طويلة، بل سنين طويلة، ولما فتح الله على البشرية بالطباعة أصبح من السهل جدا أن تتولى الآلة

الطابعة مهمة الناسخ هذه وبأسرع ما يكون وبأبهى صورة للكتاب من كل جوانبه، بل تحسين الكتاب المنشور مستمر على مر العصور وبأسرع ما يمكن... وهذا ما جعل سرعة تقدم البشرية أضعاف أضعاف ما كانت تسير عليه قبل ظهور الطباعة وقبل ظهور وسائل الاتصال الحديثة وعلى رأسها الأنترنيت اليوم... والله أعلم إلى ماذا سيصل الإنسان في اكتشافاته الرائعة لتطوير وسائل اتصاله وحمل علومه عليها ونشرها في كل بقعة يصل إليها، بل في كل بقعة قد تصل إليها تلك الوسائل سواء أكانت تلك الأماكن مأهولة بالإنسان أم ليست مأهولة به مثل القمر والمريخ...

ومما لا شك فيه أن كل مؤلف لكتاب لو سئل: كيف تريد أن يطبع كتابك وينشر؟ لقال: أريده صورة طبق الأصل من المخطوطة التي كتبتها بيدي أو التي أمليتها على من كتبها عني وعرضها عليّ وثبتّها بعدها كما هي.

وإذا سألنا القارئ لهذا الكتاب: كيف تريد أن يكون هذا الكتاب بين يديك؟ لقال: أريده كتابا كما أراده مؤلفه، كما أريده سهلا في قراءته، سهلا في الاستفادة منه الاستفادة المثلى.

وإذا كان الجواب منهما هكذا كما تعلم، فيجب على كل من أراد تحقيق ونشر أي كتاب أن يحقق لمؤلفه ذاك المطلب الأسمى، ولقارئه هذا المطلب الأعظم.

وحتى يتسنى له هذا المطلب الأسمى يجب عليه أن يتبع في بحثه على الكتاب المخطوط الذي يريد طبعه ثم نشره، وفي وصفه وتقديمه للقارئ وفي تحقيقه: خطوات خاصة، وقواعد خاصة، وأدوات خاصة لأعمال خاصة.

فما هذه الخطوات يا ترى؟ وما هذه القواعد الخاصة لتحقيقه يا ترى؟ وما هذه الأدوات الخاصة وأعمالها الخاصة يا ترى؟ هذا ما سأحاول الإجابة عنه في هذا البحث بحول الله تعالى.

وحتى يتسنى لي حسن ذلك فقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة هي هذه، وإلى خمسة مباحث، وكل مبحث قسمته إلى مطالب كما هو مبين في نصه، فأقول وبالله التوفيق:

المبحث الأول: مرحلة البحث والتنقيب عن المخطوط

المطلب الأول: البحث عن عنوان المخطوط في الفهارس:

وحتى يتسنى للمحقق أن يقف على عنوان أي مخطوطة عليه أن يقوم أولا بتفحص الفهارس العامة والخاصة، وأعني بها فهارس المخطوطات في العلوم المختلفة وفي العلوم الخاصة، كما أعني بها فهارس المكتبات العامة وفهارس المكتبات الخاصة، فعليه إذن:

1- أن يتفحص فهارس المكتبات الوطنية والمكتبات الخاصة بدقة.

2- أن يتفحص فهارس المكتبات الأجنبية الوطنية منها والخاصة وللتوفرة له بين يديه سواء أكانت متواضعة عند الخواص أو في المكتبات العامة.

3- أن يتفحص الفهارس الأجنبية خارج الوطن، وذلك بالتنقل إليها والوقوف عليها بدقة، وسواء أكانت فهارس المكتبات العامة أم المكتبات الخاصة، مع أن هذا الأمر ليس بالهين وليس بالسهل وعليه أن يتحلى بالصبر والتحمل في سبيل هذا العمل النبيل.

المطلب الثاني: التنقيب عن المخطوط خارج الفهارس

ويكون التنقيب عنه في:

أ- داخل المكتبات الوطنية وغير الوطنية الخاصة منها والعامة، مستعينا أولا بما تحصل لديه من معلومات من تفحصه للفهارس، كما ذكرت أولا، وبالوقوف على المخطوط غير المفهرس بدون سابقة علم منها ثانيا، وهذه الخطوة غالبا ما تخضع للصدفة، ولكم تكون من صدفة سارة عندها.

ب- التنقيب عن المخطوطات في الكتاتيب وفي الزوايا ويكون ذلك بـــ:

1- بالرجوع إلى فهارسها الخاصة إذا كانت لها فهارس، مثل زاوية عين ماضي بتماسين، حيث فهرسة مخطوطاتها متوفرة بالمكتبة الوطنية بالعاصمة.

2- بالرجوع إلى الأرشيف إن كان لها أرشيف وليس مفهرسا مثل زاوية كرزاز بأدرار -كما أخبرت من بعض العارفين بها- ومعظم زوايا القبائل في بلاد القبائل حيث وقفت عليه بنفسي وأنا أنقب على نسخ مخطوطة شرح المقدمة القرطبية للشيخ أحمد زروق في الفقه المالكي والذي حصل لي الشرف بتحقيقه لنيل درجة الماجستير، حيث وقفت عندها منها على كنوز ما كنت أحلم أبدا أن ترى عيني مثل تلك الكنوز، وأنتهز هذه

الفرصة العظيمة لأوصي أصحابي وأوصي الحضور المشتغلين بهذا الفن بالتردد عليها والتودد لأهلها لحفظها وصيانتها وتحقيقها ونشرها إن أمكن.

ج- بالرجوع إلى المشايخ العالمين بوجودها في هذه الزوايا وهذه الكتاتيب وغيرها، لمعرفة عناوينها والوقوف عليها إن أمكن، أو على الأقل معرفة الحد الأدنى منهم عليها وعلى حالتها.

د- بالتنقيب عن المخطوطات عند الخواص:

وعندها فمن الأفضل والأقرب إلى الحصول على ضالته أن يبحث عنها عند:

1- عند الأسر التي تشرف على الزوايا والكتاتيب حاليا.

2- عند الأسر التي كانت تشرف على الزوايا والكتاتيب في الماضي، خاصة أصحاب تلك الزوايا والكتاتيب التي اندثرت وذهبت ولكن كتبها ومخطوطاتها قد توارثها السلف عن الخلف منهم.

3- عند الأسر التي لها قسط كبير من العلماء في الحاضر أو في الماضي.

4- عند الأسر التي لها اهتمام بتجارة الكتب والمخطوطات، بل حتى عند التي كان لها في الماضي هذا الأمر وقد استغنت عنه اليوم.

5- عند الأسر التي كانت تمارس مهنة الاستنساخ للمخطوطات في الماضي وكذلك الأسر التي تمارسه اليوم، وما أقلها كان آخرهم في ناحية الغرب الجزائري: الشيخ البشير بالبرج في ولاية معسكر.

هـ- التنقيب عن المخطوطات عند وزارات الشؤون الدينية والأوقاف في سائر الأقطار العربية والإسلامية.

و- التنقيب عنها في مراكز البحث ومراكز المخطوطات عبر سائر مدن وعواصم البلدان في العالم خاصة المتواجدة في البلدان التي كانت قد استعمرت بلدانا اشتهرت بمخطوطات في الماضي مثل مراكز فرنسا وهولندا وبلجيكا والدانمارك وبريطانيا والاتحاد السوفياتي سابقا وكل الدول المستعمرة وكذا الولايات المتحدة الأمريكية، وغيرها.

ز- بالتنقيب عنها في المكتبات الوطنية والمراكز الخاصة بها في الدول العربية مثل دار الكتب العربية بمصر، وفي الدول الإسلامية وغيرها من الدول، وذلك حسب نوع المخطوطة والعلم الذي ألفت فيه وسبيل تنقل المخطوطات من بلد إلى آخر.

المبحث الثاني: مرحلة تقييد المعلومات الخاصة بالمخطوط الذي يراد تحقيقه

المطلب الأول: تعيين مكان تواجده ومن ملكه أو يتملكه حاليا

1- **تعيين مكان وجوده:** وذلك بتحديد البلد أو القطر المتواجد فيه أولا، ثم تحديد المكتبة أو المركز أو الأشخاص المالكين له بدقة ثانيا، والأفضل أن يعرف مكان تواجد المخطوطة الأصلية، وإن تعذر ذلك فيكتفي بمعرفة مكان تواجد صورها، وإن تعذر ذلك اكتفى بمعرفة تواجد أي معلومة خاصة بها حتى إذا ما احتاج إليها سهل عليها الرجوع إليها وإن أمكن تحديد المكان الذي انتقلت منه إليه، وإن أمكن تحديد الطريق الذي سارت فيه المخطوطة حتى وصلت إلى مستقرها الأخير، مشيرا فيه إلى الكيفية التي انتقلت بها، أبالتجارة أم بالسرقة والغصب وهل انتقلت في مرحلة الاستعمار أم في مرحلة الاستقلال؟

2- تعيين الفهارس التي نصت عليه، وذكر وصفها له بدقة.

المطلب الثاني: ترجمة المخطوط

وذلك بذكر ما يلي:

1- اسم المخطوط أو عنوانه بدقة: ويجب أن يعين العنوان إذا كان مستقلا أو منفصلا عن سائر المخطوطات، وأن يعين مع ذكر المجموع الذي ينتمي إليه إذا كان مجموعا فيه.

2- ذكر رقم المخطوط بدقة: سواء أكان منفصلا أو كان مجموعا، وإذا كان مجموعا فيجب ذكر رقم المجموع وذكر رقم المخطوط فيه.

3- ذكر رمز المخطوط إذا لم يكن له رقم خاص به وكان له رمز خاص به سواء أكان مستقلا أو كان في مجموع.

4- ذكر نوع العلم الذي يدور حوله المخطوط بصورة عامة، مثل أن يكون في العلوم الشرعية أو العلوم الإنسانية أو العلوم الدقيقة، أو علوم الطبية، أو...

5- ذكر العلم الذي كتب فيه المخطوط بصورة خاصة وبدقة مثل أن يكون في فقه العبادات من الفقه المالكي في الفقه الإسلامي من العلوم الشرعية الإسلامية.

6- ذكر اسم العالم الذي ألف المخطوط، وهذا غالبا ما يكون مذكورا في مقدمة المخطوط أو في وجه المخطوط، أو في آخر صفحة منه.

7- ذكر حالة العصر الذي عاش فيه المؤلف، خاصة الحالة السياسية والحالة الثقافية، لأنه غالبا ما يؤثر جانب السياسة في الثقافة، وجانب الثقافة في السياسة، ولما كان مولفه لا يخرج

عن عصره: فلابد وأن يتأثر بهذين العاملين، فيظهر ذلك الأثر في مؤلفه لا محالة.

8- ذكر ترجمة ولو موجزة للعالم الذي ألف المخطوط وذلك بذكر اسمه ولقبه إن كان له لقب واسم الشهرة له إن كان له ذلك، وذكر مكانته بين أقرانه من العلماء في عصره، وذكر بعض مشايخه وبعض تلاميذه، مع ذكر بعض مؤلفاته ومكانتها بين سائر مؤلفات عصره في الفن الذي ألف فيه، ثم ذكر تاريخ وفاته الهجري والميلادي إن أمكن ذلك وإلا اكتفي بالتاريخ المذكور فيه أو في أي ترجمة له.

9- ذكر اسم الناسخ الذي استنسخ المخطوط، وهذا دائما ما يكون في نهاية الصفحة الأخيرة من المخطوط، مع ذكر ما إذا كان الناسخ من أهل فن المخطوطة هذه أم لا، لأن الناسخ كلما كان متخصصا في الفن الذي نسخه قلت أخطاؤه، وكلما ابتعد عن ذلك التخصص كثرت أخطاؤه، ولقد وقفت على هذه الحقيقة بنفسي في كثير من المخطوطات وأنا أتعامل معها في تحقيقي لشرح الشيخ أحمد زروق على المقدمة القرطبية في مرحلة الماجستير، وفي تحقيقي لكتاب الإشراف على مذاهب الأشراف لابن هبيرة الوزير وللتوضيح للشيخ خليل فيما بعد...

المطلب الثالث: وصف المخطوطة ماديا

أ- **الوصف الخارجي**: وذلك بذكر ما إذا كان مجلدا أو غير مجلد مع حجمه وحالته الصحية هل هي جيدة أم رديئة مع طول جلدته وعرضها ومقاس أوراقه.

ب- **الوصف الداخلي**: وذلك بوصف أوراق النسخة هل هي جيدة أم رديئة أم متوسطة، وإلى أي عصر تنتمي هي إن أمكن وإلا فلا.

وتحديد عدد الأسطر في غالب صفحاتها وعدد الكلمات في كل سطر.

وتحديد مقاس الأوراق (الطول والعرض).

تعيين المداد الذي كتبت به، وذلك بذكر ما إذا كان واضحا أم باهتا معرضا للرطوبة أم غير معرض، مع تعيين ألوانه، خاصة إذا كانت مذهبة.

تعيين الخط الذي كتبت به، وهذا من الأمور الهامة جدا في أي تحقيق لأي مخطوط وذلك بتحديد ما إذا كان الخط نسخيا أم رقعيا أم أندلسيا أم مغربيا... وفي أي عصر ساد هذا الخط إن أمكن، وعلى المحقق أن يكون متقنا لقراءته إتقانا جيدا، لأن عدم معرفة قراءة الخط يؤدي بالضرورة إلى تشويه الكتاب لا إلى

تحسينه، فمن الواجب على المحقق أن يقرأ هو بنفسه ما يحققه، ولا يجوز له أن يكلف غيره بقراءته مهما كانت الظروف، اللهم بعض الكلمات والعبارات الغامضة التي استغلقت عليه فيستعين عندها بغيره من العارفين، وما يندى له الجبين اليوم أن نجد بعض من يتولى التحقيق فيكلف غيره ممن ليس من أهل هذا الشأن بالمقابل ثم يسجل في الأخير اسمه على الكتاب فقط مما أدى إلى تشويه الكثير من المخطوطات، لأن من وكّل بالتحقيق ليس له من الأمر فيه إلا المقابل، وغالبا ما يكون زهيدا في مقابل جهده، مما يؤدي به إلى عدم الدقة في القراءة والتحقيق حرصا على تحقيق أكبر قدر ممكن من الصفحات حتى يحصل على أكبر قدر ممكن من المقابل المادي، لأنه متنصل من مسؤولية تحقيقه أمام عموم الناس، بل أمام القانون، أما المحقق الأصلي (أو الأستاذ المحقق إن صح التعبير) فلا يهمه من الأمر إلا ما يجنيه من ذلك التحقيق عقب النشر بغض النظر أكان تحقيقا جيدا أم رديئا.

وصف حالة صفحات المخطوطة، وذلك بتحديد ما إذا كان فيها بعض الحروق أو الخروق، وهل تعرضت إلى الطمس أم لم تتعرض، هل فيها فراغات أو سقاطات في الكتابة، هل فيها سقط في الأوراق، هل هي ناقصة في عدد أوراقها أم لا، هل أوراقها مرتبة أم غير مرتبة، هل هي مرقمة أم غير مرقمة مع العلم أن المخطوطات القديمة لم تكن ترقم، إنما كان يجعل آخر كلمة في

الصفحة هي أول كلمة في الصفحة الموالية إذا كانت الصفحتان متقابلتان، أي آخر كلمة في ظهر اللوحة هي أول كلمة في وجه اللوحة الموالية، وهو ما يسمى بالتعقيبة بالكلمة، أو أن يُجعل آخر سطر في ظهر اللوحة هو أول سطر من اللوحة الموالية، وهو ما يسمى بالتعقيبة بالسطر[1]

ذكر عدد أوراق المخطوط أو اللوحات أو عدد صفحاته، وذلك بأخذه من الفهارس أو بعدّها عدا، والأفضل أن يجمع بينهما، والإشارة إلى ذلك في مقدمة التحقيق.

ج- ذكر السنة التي ألف فيها المخطوط، وهذا من الأمور الهامة جدا فيه لأنه يحدد لنا الأقدم فالأقدم من نسخه إذ عليه ينبني رسم شجرة المخطوطة وتحديد النسخ التي يعتمد عليها المحقق في تحقيقه، إلا أن هذا الأمر من النادر ما نجده على نسخ المخطوط، لكن يمكن معرفة تاريخ تأليفه من كتب التراجم التي تتعرض لترجمة المؤلف إذ غالبا ما نجدها تذكر مؤلفاته وتذكر تاريخ الانتهاء من تلك المؤلفات أو الانتهاء من بعض هذه المؤلفات.

د- ذكر السنة التي استنسخت فيها هذه النسخة التي بين يدي المحقق، وأهمية التحديد لهذه السنة هو من أهمية تحديد سنة تأليف

---

[1] - أنظر كتاب دراسات في علم المخطوطات والبحث البيليوغرافي لأحمد شـــوقي بنبين، ص 71-79، ط/ المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس.

المخطوط، إذ بتحديد تاريخ النسخ يمكننا تحديد النسخ الأقدم منها فالأقدم، ومنه يمكننا رسم شجرتها بدقة واعتماد الأقدم والأدق منها فيكون التحقيق أقرب إلى الدقة وأقرب إلى النسخة التي كتبها المؤلف بخط يده أو أملاها على من يكتب عليه وأقره عليها.

هـ- ذكر ترتيب نسخ المخطوط حسب تاريخ تأليفها إذا كان المؤلف قد ألحق بالنسخة الأولى بعض التغييرات أو بعض الإصلاحات إذ عندها ينبغي اعتبار النسخة المتأخرة في التحقيق والاستغناء عن النسخة المتقدمة، لأن المتأخرة منها هي التي استقر رأي المؤلف عليه بتأليفه هذا، بخلاف الأولى منها والتي عدل عن بعض ما فيها، فإنه بعدوله هذا يتبرأ مما كتب أولا ويثبت ما كتب ثانيا[1]

و- ترتيب نسخ المخطوط حسب تاريخ استنساخها إذ به يتحدد رسم شجرة نسخ المخطوطة وبه تعرف الأقدم فالأقدم منها، وعندها ينبغي على المحقق أن يأخذ بالأقدم فالأقدم إذا كان ينصف بالدقة وبالسلامة من التحريف ومن مهلكات الدهر لهذه المخطوطات، وينبغي على المحقق أن يعدل عن هذه القاعدة إذا وجد أن المتأخر منها هو أفضل من المتقدم من حيث دقة النقل

1- قواعد تحقيق المخطوطات للدكتور صلاح الدين المنجد، ص 12، 13، ط/ دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان.

والمقابلة على الأصول، ومن حيث السلامة من التحريف في العلم الذي حوته، ومن حيث التعرض لعوامل الهدم لها، إذ الأسلم منها عندها هو الذي ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار في التحقيق.

ز- رسم شجرة نسخ المخطوطة، وذلك ليتمكن المحقق من معرفة سير نسخ هذه النسخ الموجودة بين يديه ومعرفة أصولها وفروعها خاصة إذا كان للمخطوطة فئات وليس نسخة عن نسخة فقط، إنما لها نسخ عدة عن نسخة واحدة وهكذا، فيجد في النهاية أن الأمر عنده قد آل إلى نسخ قليلة نسخت عنها نسخ كثيرة فيعتبرها عندها هي النسخ الأصلية إذا كانت سالمة مما ذكرنا سابقا.

ح- تحديد أم المخطوط ثم التنبيه على هذه الأم هل هي الأصل أم هي فرع كسائر الفروع، إذ أفضل الأمهات هي النسخة التي كتبها المؤلف بخط يده، وعندها ينبغي عليه أن يتأكد أهي النسخة الأخيرة للكتاب التي كتبها المؤلف أم أن هناك نسخة أخرى قد كتبها بعدها وأحدث فيها ما أحدث من إصلاحات وتغييرات كما ذكرنا سابقا، إذ كل عالم بعدما ينهي كتابة كتابه: فمهما راجع كتابه إلا وظهر له أنْ لو أضاف له أشياء، أو أن لو حذف منه أشياء، أو أن لو غير مفردات أو عبارات أو فقرات... مما يدفعه إلى كتابة مؤلفه مرة ثانية أو ثالثة بهذه التغييرات، ولسان

حاله هكذا يقول بتبرّئه مما كتب أولا وغيّره ثانيا، وباستقراره على ما كتب ثانيا.

ويلي في المرتبة الثانية النسخة أو النسخ التي قرئت على المؤلف أو قرأها هو بنفسه فأقرّها، وينبغي أن يتأكد من ذلك بما إذا كان قد كتب هو ذلك بنفسه على المخطوطة هذه أو على مخطوطة أخرى موضحا ذلك توضيحا بيّنا، أو يجد أن الناسخ قد كتب أن هذه النسخة قد عرضت على مؤلف الكتاب فأقرها، أو يجد في كتب التراجم أن المترجم قد ذكر أن النسخة الفلانية قد قرئت على مؤلفها فأقرها أو أحدث فيها تصحيحا معينا.

ويلي في المرتبة الثالثة النسخ التي نقلت على نسخة المؤلف أو عرضت عليها عرضا دقيقا.

ويلي في المرتبة الرابعة النسخ التي كتبت في عصر المؤلف وقد عرضت على علماء في ميدان تخصصها ولهم ملازمات لمؤلفها.

ويلي في المرتبة الخامسة النسخ التي كتبت في عصر المؤلف و لم تعرض على مثل هؤلاء العلماء المذكورين سابقا.

ويلي في المرتبة السادسة النسخ الأخيرة وهي التي قد كتبت بعد عصر المؤلف، وأفضلها هي الأقدم فالأقدم مع قراءتها على عالم من علماء فنها.

وقد يحدث أن يجد المحقق نسخة متأخرة هي أضبط من النسخ السابقة عليها، فعندها يجب عليه أن يقدمها عليها، كأن تكتب نسخة متأخرة على نسخة المؤلف أو على نسخة في عصر المؤلف رأسا، ولم تكتب على نسخ فرعية بينها وبين نسخة المؤلف أو نسخة كتبت في عصره وعرضت على علماء في فنها.

وغالبا ما يكون تاريخ نسخها مسجلا في نهاية النسخة من طرف الناسخ، وقد يحدث أن يسجل من طرف غيره.

هذا بالنسبة للنسخ التي قد سجل عليها تاريخ النسخ، أما التي لم يسجل عليها تاريخ نسخها فيمكن الرجوع إلى تاريخ خطها أو إلى عصره، حيث لكل خط عصر خاص به كان قد ساد فيه، ويمكن أن يستفيد المحقق بخبراء الخطوط وعصورها إذا كان ليس خبيرا بها لتحديد تاريخ نسخها[1]

والسبب الذي جعل وجوب مراعاة هذا الترتيب بين سائر نسخ المخطوط هو أن نسخ أي مخطوطة خاصة إذا لم يكن من طرف مؤلفه لا بد وأن يوجد تفاوت واضح فيما بينها من حيث تمام المعلومات ومن حيث تاريخ نسخها وسلامتها من التصحيف، لأنه كلما ابتعد تاريخ نسخ المخطوط عن تاريخ تأليفه: كلما زاد تعدد نسخها في التصحيفات والتغييرات من طرف النسّاخ ومن

---

[1] – نفس المصدر السابق، ص 19.

طرف المحشّين بصرفهم المعنى الأصلي إلى غير ما يريد المؤلف في بعض الأحيان، وكذا من طرف مالكي نسخ المخطوط، ومن طرف قرائه، خاصة الذين لا يحترمون ما بين أيديهم فيلحقون به بعض التغييرات في نظرهم هي الأسلم وهي الأصح وكذا إلحاق الشكل أو الضبط الخاطئ بنصوصها خاصة إذا كان القارئ جاهلا بقواعد اللغة العربية -أو جاهلا بلغة الفن التي كتبت به المخطوطة عموما- أو كان جاهلا بالفن الذي كتبت فيه المخطوطة، ولما كان الأمر كذلك: وجب ترتيبها من أجل الاستفادة منها حتى يخرج الكتاب المحقق أقرب صورة إلى ما كتبه مولفه إذ هو الهدف الأسمى من تحقيق المخطوط.

المبحث الثالث: مرحلة التحقيق

قاعدة: تحقيق مخطوط أي كتاب هو العمل الذي يؤدي إلى إخراجه كما كتبه صاحبه أو إلى أقرب ما يمكن إليه.

المطلب الأول: التحقيقات

وحتى يتحقق هذا الهدف الأسمى لا بد للمحقق أن يقوم بمايلي:

1- **التحقق من صحة عنوان الكتاب:** وذلك بمراجعة سائر نسخه المخطوطة والتأكد من ثبوت نفس العنوان عليها، أو التقارب فيما بينها في ذلك العنوان، مشيرا إلى ذلك في الهامش، هذا إذا كان العنوان مذكورا على نسخ مخطوطاته.

أما إذا كان العنوان غير مذكور عليها فيمكن اصطياده من كتب التراجم التي ترجمت للمؤلف وذكرت مؤلفاته فذكرت ذلك المؤلف في ذلك الفن الذي كتبت فيه المخطوطة، أو اصطياده من كتب تراجم المؤلفات لعلها ذكرت ذلك المؤلف باسمه ناسبة إياه بمؤلفه.

أو اصطياده من كتب الفن الذي كتبت فيه هذه المخطوطة وذكرته كمصدر من مصادرها أو كمرجع من مراجعها باسم المؤلف بذلك الفن.

أو بالرجوع إلى العلماء العارفين بعناوين مؤلفات ذلك الفن.

أو بالرجوع إلى علماء التراجم العارفين بالمؤلف وبمؤلفاته.

2- **التحقق من صحة نسبته إلى مؤلفه:** وذلك بالرجوع إلى سائر نسخ المخطوطة خاصة إلى مقدماتها إذ غالبا ما يذكر المؤلف فيها، أو بالرجوع إلى كتب التراجم، سواء تراجم المؤلفين أم تراجم المؤلفات، أو كتب الفن الذي كتبت فيه المخطوطة وذكر فيها اسم المؤلِف والمؤلَف أو بالرجوع إلى العلماء

العارفين بعناوين مؤلفات ذلك الفن أو العارفين بتراجم المؤلفين والمؤلفات كما ذكرنا سابقا.

3- **التحقق من نسخة خط المؤلف:** إذا كانت النسخة قد كتبت بيد مؤلفها مصرحا بذلك بدقة فلا بد عندها من اتباعها كما هي بدون أي تغيير لأن كل المخطوطات المنسوخة من طرف غيره تكون تابعة لها.

4- **التحقق من نقول المؤلف:** على المحقق أن يتأكد من صحة نقول المؤلف من مصادره الخاصة وذلك بما يلي:

أ- بمقابلة النصوص التي يكون المؤلف قد نقلها من مصادر شتى مصرحا بذلك على أصولها والتنبيه في الهامش على ما قد يكون المؤلف قد وقع فيه من هفوات وأغلاط في نقله، أو في صرف النص الأصلي إلى مالا يصح صرفه.

ب- إذا نقل المؤلف أي نص من مصدره و لم يشر إلى ذلك واكتشف المحقق ذلك فعليه أن يقابله عليه مشيرا إلى ذلك في الهامش.

5- **المقابلة بين النسخ:** بعد رسم شجرة نسخ المخطوط وتعيين النسخة الأم على المحقق أن يقابل هذه النسخة الأم على سائر النسخ التي اعتمدها في تحقيقه، وله أن لا يقابل على غيرها من النسخ العديمة الفائدة إلا إذا احتاج إليها في بعض الخصوصيات

ككلمات أو كلمة لم تفهم إلا في نسخة مهملة فإنه يأخذها منها مشيرا إلى ذلك في الهامش، لأنه لا يمكن أن تجد نسخة كاملة الصحة، كما لا يمكن أن نجد نسخة كاملة الخطأ، وقد يوجد ما هو أصوب في نسخ كثيرة الأغلاط أو الأخطاء مما هو في نسخ قليلة الأغلاط والأخطاء.

6- **التنبيه على اختلاف النسخ:** عند اختلاف النسخ في لفظة من اللفظات على المحقق أن يشير إلى ذلك في الهامش.

7- **ترميز المخطوطات:** حتى يسهل عليه المقابلة والإشارة في الهامش بدقة عليه أن يرمز لمخطوطته الأم وللمخطوطات الأخرى التي اعتمدها للمقابلة عليها برموز خاصة كحروف مثل: أ، ب، ج، أو α، β، γ،... أو أي اسم أو شكل يختاره المحقق.

8- **التنبيه على الزيادات:** عند وجود أي زيادة لنسخة من النسخ عليه أن يضيفها إلى النسخة المعتمدة والمقابلة (النسخة الأم) ويشير بذلك في الهامش بشرط تأكده من انتماء هذه الزيادة إلى أصل الكتاب المحقق.

9- **إصلاح السقوطات:** إذا وجد المحقق أي سقط من النص كلمة أو حرفا أو جملة فعليه أن يضيفها إلى النص واضعا إياها بين قوسين معقوفين مشيرا إلى ذلك في الهامش[1]

10-**بياضات النسخ:** إذا وجد المحقق أي بياض في النسخة الأم ووجد ما يقابله في النسخة الأخرى فعليه أن يضيفه واضعا إياه بين قوسين معقوفين مشيرا إلى ذلك في الهامش، أما إذا لم يجد المحقق ما يقابل ذلك البياض في أي نسخة من نسخ المخطوط ولا حتى في النسخة المطبوعة إذا كانت له نسخة مطبوعة، فإن على المحقق أن يترك ذلك البياض على حاله مشيرا إليه في الهامش، وأنه لم يجد ما يقابله في أي نسخة مخطوطة أو مطبوعة.

11- **تعليقات الحواشي:** إذا وجد المحقق بعض التعليقات في هوامش النسخة المحققة (الأم) من غير مؤلفها فعليه أن يشير إلى ذلك في الهامش وليس له أن يضيفها إلى النص المحقق أبدا لأنها ليست من عمل مؤلف المخطوطة، وإذا كانت هذه التعليقات هي من طرف المؤلف نفسه فإنه يجب عليه إلحاقها بالنص المحقق لأنها من صلب ذلك النص.

---

[1] نفس المصدر السابق، ص 16.

المطلب الثاني: التعامل مع خط المخطوطة

لما كانت خطوط أي لغة من اللغات خاضعة للتطور مع مر الزمن وكانت الخطوط العربية كذلك: فإننا نجد أنها قد تعرضت للإصلاح والتطور من كل الجوانب من العصور الأولى إلى يومنا هذا، وستظل كذلك كلما تطورت الحياة على هذه الأرض، لأن الكتابة هي من الأمور المعاشية الخاضعة للتطور، خاصة ما حدث لها قبل ظهور الطباعة، ولهذا يجب على المحقق أن يضع نصب عينيه هذه الحقيقة وأن يتعامل معها حسب هذا التغير حتى لا يقع في أخطاء قد تكون فادحة وخطيرة تشوه المخطوطة بدل أن تحسنها، ولأضرب أمثلة على ذلك:

النقط:

لم يكن الخط العربي في أول الأمر له أي نقط على أي حرف ثم وضعت النقاط فكان فتحا عظيما في تسهيل قراءته، فعلى المحقق إذا حقق نسخة ليس عليها أي نقط فإنه يشترط فيه أن يكون بارعا في قراءة النصوص غير المنقطة، وليس له معرفة قراءتها إلا بالرجوع إلى ما سبق أي كلمة وما تأخر عنها، وبالرجوع إلى سائر نصوص ذلك الفن المطبوع أو المخطوط المنقط حتى يمكنه تمييز شكل الكلمة فيسهل عليه قراءتها قراءة سليمة لا تتعارض مع

باقي مفردات النص، وهذه المخطوطات نجدها سائدة في العصور الأولى خاصة قبل القرن الرابع الهجري.

الضبط:

لم يكن الخط العربي له أي شكل أو ضبط من نصب وخفض ورفع وسكون، وكانت النصوص تحته مجردة عنها، وأهل عصرها يفهمونها فهما سليما بدونها، ولما وضع له الشكل المعروف اليوم كان الفتح العظيم كذلك في تسهيل قراءته خاصة على الأعاجم منهم والذين لا يفهمون اللغة العربية فهما سليما بالسليقة:

أشكال بعض الحروف:

فشكل حرف الدال والذال والطاء والراء و... إذ كلها قد حدث لها تطور كبير على مر العصور، بل كل حرف له شكل خاص به في كل عصر من العصور، ويكفي أن نجيل النظر في بعض المخطوطات المكتوبة بالخط الأندلسي مثلا أو الخط المغربي متتبعين العصور المختلفة واختلاف أشكال هذه الحروف لندرك هذا الذي نقوله.

القواعد الإملائية

والقواعد الإملائية هي بدورها قد حدث لها التطور العظيم مع مر العصور فنجد أن الكلمة الواحدة كانت تكتب بشكل ثم

أصبحت تكتب بشكل آخر، وما كان صوابا في الماضي بتلك القواعد أصبح خطأ اليوم بهذه القواعد مثال ذلك كلمة (مسألة) كانت تكتب (مسئلة) إذ أصلها (مسيلة)،...

الكلمات الخاصة:

مراعاة ما راعاه الأقدمون من الخروج على بعض القواعد الإملائية حتى لا تختلط عليهم قراءة بعض الكلمات مثل كلمة: (مئة) كتبت (مائة) ولم تكتب هكذا إلا تفاديا من أن تقرأ (منه) حيث لم يكن النقط على الحروف يومها ومثل كلمة (عمرو) أصلها (عمر) وحتى لا تقرأ عمر أضيف لها حرف الواو.

حروف المدّ:

إظهار بعض حروف المد بشكل صغير وهو ما يسمى بالمد المحذوف وعدم إظهاره في العصور المتأخرة مثل كلمة (هـــذا) بألف المد الصغيرة على الهاء كتبت اليوم (هذا) بدون ذلك المد، لكنها تقرأ بالمد الذي كان يكتب سابقا ويسمى الألف المحذوف،...[1]

---

[1] – أنظر في هذا الأمر الخط العثماني الذي كتب به المصحف الشريف المتداول بين أيدي الناس اليوم.

المطلب الثالث: التعامل مع الألفاظ والجمل المختصرة

على المحقق أن يراعي المصطلحات والرموز التي التزمها ناسخ المخطوطة، وهذه تختلف من فن إلى آخر فمثلا لفظة (انتهى) يرمز لها بـــ (أ.هـــ) وجملة (صلى الله عليه وسلم) يرمز لها بـــ (صلعم) أو (ص)، وجملة (رضي الله عنه) يرمز لها بـــ (رضه) أو (ض)، وجملة (إلى آخره) يرمز لها بـــ (إلخ)، و(أخبرنا) يرمز لها بـــ (أنا)، و(حدثنا) يرمز لها بـــ (ثنا)، و(أنبأنا) يرمز لها بـــ (أنبا)، ومثل (صحيح البخاري) يرمز لها بـــ (خ)، و(صحيح مسلم) يرمز لها بـــ (م)، و(سنن الترمذي) بـــ(ت)، و(سنن أبي داوود) بـــ (د)، و(سنن النسائي)بـــ(ن)، وهذا العمل نجده كثيرا جدا في كتب الحديث، ومثله في كتب الفقه الإسلامي.

المطلب الرابع: التعامل مع ضبط النصوص

على المحقق أن يراعي النصوص المشكولة أو المضبوطة فيتركها على حالها بشرط أن تكون صحيحة في شكلها، وأن يصحح الخطأ منها بدقة ويذكره في الهامش إذا كان ليس متفاحشا حتى لا يكثر ذكره في الهامش فيثقل عليه.

مع العلم أن وضع الشكل لا يكون دائما بالضرورة من طرف الناسخ أو من طرف المؤلف وإنما في الغالب ما يكون من وضع

القراء، وقد يكون القارئ المشكّل عارفا بهذه النصوص وبشكلها وقد يكون ليس كذلك مما يودي إلى الأخطاء الفادحة فيه، وفي الحقيقة فإن الغالب على الشكل في هذه النصوص الأخطاء الفادحة، فعلى المحقق أن ينتبه إلى ذلك الانتباه اللائق به وأن لا يترك الأخطاء تتسرب عليه لأن الخطأ فيها قد يؤدي إلى الخطأ في معنى النص فيقع التشوه الكبير له، ومن النصوص التي يجب عليه أن يشكلها ويضبطها بدقة:

1- **الآيات القرآنية:** وفيها عليه أن يلتزم بشكلها الأصلي إذا اعتمد على رسمها الأصلي، وإذا كتب الآية بالخط الإملائي العادي المعاصر فعليه أن يلتزم بالشكل المعاصر، ومن الأفضل اليوم أن تنقل من القرص المضغوط بجهاز الإعلام الآلي إذ ينقلها كما هي بحدافرها من المصحف الشريف تجنبا لإمكان الخطأ فيها وفي تشكيلها، مع العلم بصعوبة إملاء الخط العثماني المكتوب به المصحف الشريف اليوم على الناس غير المتخصصين في كتابة المصحف الشريف، وكذا غير الدارسين للقرآن الكريم في الزوايا والكتاتيب على الألواح.

2- **الأحاديث النبوية الشريفة:** إذ عليه أن يشكّلها ويضبطها بدقة حتى لا يشكل فهمها على القارئ.

3- **الأبيات الشعرية:** التي تصعب قراءتها خاصة القديمة منها.

4- **الألفاظ:** التي تلتبس قراءتها بغيرها.

٩- **الأعلام الأعجمية**: التي تكتب بالخط العربي، وذلك حتى تنطق النطق السليم على أصل لغتها وكذا الأسماء المركبة أو الصعبة النطق والتي تختلط في نطقها بدون شكل مع أسماء آخرين أو مع كلمات أخرى، ويستعان في ضبطها بكتب الرجال وكتب التراجم.

المطلب الخامس: عنونة النص المحقق وترقيمه

يجب على المحقق أن يحافظ على العناوين التي أحدثها المؤلف لأنها من صلب النص المحقق وأن يظهرها بحروف أوضح من سائر حروف النص.

وله أن يحدث من العناوين ما يراه ضروريا لحسن الاستفادة من نصوص المخطوطة بشرط أن يميزها عن غيرها وذلك بوضعها داخل أقواس معقوفة وأن ينبه على ذلك في مقدمة التحقيق أو أثناء عرضه لمنهجية تحقيقه وعرض رموزه فيها.

كما يجب عليه أن يحافظ على تقسيمات النص التي أحدثها المؤلف من الفقرات والفصول والأبحاث والأبواب والأقسام والكتب.

وله أن يحدث منها ما يشاء إذا كان يرى أنه من الضروري إحداثها، وبدونها سيظل الكتاب عديم الفائدة من حيث التقسيم،

وبشرط أن يضعها بين أقواس معقوفة أو غيرها وأن يشير إلى ذلك في الهامش.

وإذا كان من الضروري ترقيم نصوص المخطوطة فللمحقق أن يلجأ إلى ذلك، وذلك بأن يرقم كل فقرة على حدى أو كل مجموعة من الأسطر على حدى، وذلك حتى يتسنى للقارئ الاستفادة الأعظم من تلك الجزئيات في تلك النصوص.

المبحث الرابع: التهميش والرموز الخاصة بالتحقيق

المطلب الأول: الرموز الخاصة بالتحقيق

كل نسخة محققة إلا ويضطر المحقق إلى إضافة عناوين أو إبراز جمل اعتراضية أو إضافة أرقام أو تخريج نصوص من أصولها... وما إلى ذلك من وسائل الضبط والإيضاح، وحتى يتسنى له ذلك يجب عليه أن يرفق نصوصه المحققة برموز وأقواس خاصة مثل: القوسان ﴿ ﴾ لحصر الآيات القرآنية.

القوسان ( ) لفصل متون الأحاديث النبوية الشريفة عن غيرها وفصل النصوص المنقولة من سائر المصادر والمراجع، وكذا تمييز ظهر أي لوحة من مخطوط عن وجهها مع ذكر رقمها مثل (3 أ) تعني وجه اللوحة الثالثة، و(3 ب) تعني ظهر اللوحة الثالثة.

والقوسان المعقوفان [ ] لتمييز النصوص المضافة من طرف المحقق وكذا العناوين والأرقام سوى أرقام الصفحات عند الطبع، إذ ينبغي على المحقق أن يستغني عن التعقيبة لترتيب الصفحات في المخطوطة ويعوضها بترقيم الصفحات لأنه هو الترقيم المعمول به اليوم سواء في الكتب المطبوعة أو في المخطوطات الحديثة.

والتعقيبة قد استعملت في المخطوطات القديمة لتحديد عقب كل صفحة وهي أن تكتب آخر كلمة من ظهر لوحة ما في أول سطر من وجه اللوحة الموالية، وقد درج على هذه التعقيبة حضارات عديدة في القديم منها الحضارة العربية الإسلامية[1]

أو أن يكتب آخر سطر من لوحة ما في أول سطر من اللوحة الموالية، وقد درج على هذه التعقيبة أهل الحضارة السومرية في العراق[2]

والمزدوجتان « » لتمييز أسماء الكتب الواردة في النص المحقق.

والمزدوجتان " لتميز الأعلام الأعجمية المكتبة بالخط العربي الواردة في النص المحقق وكذا المكتوبة بلغة أجنبية.

---

[1] انظر كتاب دراسات في علم المخطوطات والبحث البيبليوغرافي لأحمد شوقي بنبين، ص 71-79، ط/ المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس.

[2] المرجع نفسه.

المطتان – – لتمييز الجمل الاعتراضية عن غيرها من النص المحقق.

وللمحقق أن يختار رموزا أخرى غير هذه إذا رأى ضرورة إلى ذلك.

وعليه أن يبرز كل هذه الرموز والأقواس في مقدمة تحقيقه.

كما يجب على المحقق أن يراعي أدوات الوقف والفصل والاستفهام والتعجب، فيضع النقطة (.) عند انتهاء الفقرة أو الجملة المستقلة عن غيرها، وأن يضع الفاصلة (،) بين الجملة والجملة في فقرة واحدة، وعلامة الاستفهام (؟) عقب الجملة الاستفهامية، وعلامة التعجب (!) عقب الجملة المكتوبة بتعجب.

المطلب الثاني: التهميش

على المحقق أن يفصل بين النص المحقق وإظهار ما يجده من اختلاف بين النسخ التي يحقق فيها، وذكر مصادر النص، وتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية و...بخط فاصل، وما تحته يدعى الهامش، وعليه أن يعتني به العناية الفائقة، لأن التهميش قد أصبح اليوم فنا خاصا بذاته يجب مراعاته في كل تأليف وفي كل تحقيق، فيدرج فيه في التحقيق ما يلي:

ا إظهار اختلاف النسخ في الألفاظ أو في الرسم أو في النص المنقول أو...

2. إظهار المصادر والمراجع المذكورة في النص المحقق.

ا- إظهار المصادر والمراجع غير المذكورة في النص المحقق، وقد اكتشفها المحقق وبيّن أن المؤلف قد نقل منها.

4- تخريج الآيات القرآنية بذكر السورة ورقم الآية.

٩- تخريج الأحاديث النبوية بالشكل المتعارف عليه عند المحدثين.

١- ملخصات تراجم الأعلام الواردة في النص المحقق مع تخريجها من مصادرها ومراجعها الخاصة بها.

7 ملخصات تراجم المصادر الواردة في النص المحقق مع تخريجها من مصادرها ومراجعها الخاصة بها.

٨ شرح الكلمات الغامضة مع تخريجه من القواميس الخاصة بها.

٩ التعقيب على النصوص الغامضة.

١١ التعقيب على ما قد يقع فيه المؤلف من هفوات ونقل النصوص من مصادر ومراجع ذكرها هو بنفسه أو لم يذكرها وقد تنبه إليها المحقق.

١١ التنبيه على السقوطات التي تكون قد حدثت في النص المحقق.

١٢ التنبيه على الخرومات التي تكون قد حدثت في النص المحقق.

١١ التنبيه على التقديم والتأخير الذي قد يحدث بين النسخ المختلفة والمعتمدة في التحقيق.

14- ترجمة الأماكن والبلدان الواردة في النص وتكون غير مشهورة.

15- التنبيه على الكلمات أو الجمل المطموسة مع ذكر النسخة التي أصلحها منها إن أمكن ذلك ومع التنبيه على طمسها في كل النسخ إن كان ذلك، وعندها يجب عليه أن يضع في مكان هذا الطمس نقاطا تدل عليه، والأفضل أن يجعل بدل كل كلمة مطموسة ثلاثة نقاط، كما يمكنه أن يضع بدل النقاط نجوما دالة على الطمس الحاصل في النسخ المعتمدة في التحقيق.

16- التنبيه على الحواشي الواردة في حاشية المخطوطة أو على جوانب صفحاتها سواء أكانت من المؤلف نفسه وعندها يجب عليه أن يثبتها في النص المحقق لأنها صادرة من المؤلف أو كانت من غير المؤلف وعندها يجب عليه أن لا يدرجها في النص المحقق لأنها ليست صادرة من المؤلف، ويكتفي عندها بالإشارة عليها في الهامش فقط.

17- إنساب الأبيات الشعرية إلى قائليها إن أمكن ذلك بأن يذكر مصادرها أو يخرجها تخريجا علميا دقيقا كالأحاديث النبوية الشريفة الذي ذكرناه سابقا.

18- تمييز الأمثال والحكم الواردة في النص المحقق مع إظهار المناسبات التي تقال فيها والتنبيه على مصادرها إن أمكن ذلك.

إرفاق التحقيق بصور من النسخ المعتمدة في التحقيق:

على المحقق أن يرفق الكتاب المحقق عند الطبع بصور طبق الأصل من كل نسخة معتمدة في التحقيق، وذلك بأن تكون صورا طبق الأصل للصفحة الأولى والصفحة الأخيرة أو أي صفحة معتمدة، مع الإشارة إلى ترتيبها فيها، وأن يذكر أهي الظهر أم الوجه من اللوحة المصورة، والأفضل أن تكون هذه الصور قبل مقدمة المؤلف حتى يطمئن القارئ إلى ما يدعيه المحقق من تحقيق فيها.

المبحث الخامس: مقدمة التحقيق وفهارسه ثم نشره

المطلب الأول: الفهارس

الأصل في فهارس أي كتاب أن تكون خادمة للقارئ وذلك بأن تسهل عليه الرجوع إلى أي عنوان في الكتاب أو أي فكرة كانت في أي فصل كان مع تحديد المصادر والمراجع التي اعتمد عليها المؤلف وذلك حتى يطمئن القارئ إلى ما يقرأ فيه مع الاستفادة الأعظم كما يقرأ ببساطة ويسر.

فعلى المحقق إذن أن يهتم بفهارس المخطوطة إذا كان المؤلف قد فهرس كتابه فيجعله في إطار النص المحقق، ثم يضيف له ما يراه

مناسبا من الفهارس حتى يسهل على القارئ الاستفادة من الكتاب الاستفادة الأعظم، وقد جرت العادة بذكر الفهارس التالية:

1- فهرس الآيات القرآنية سواء الواردة في النص المحقق أو المضافة من طرف المحقق، ويرقمه حسب ترتيب المصحف الشريف من حيث ترتيب السور وترتيب الآيات فيها.

2- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة سواء الواردة في النص المحقق أو التي يضيفها المحقق، ويرقمه حسب الحرف الأول من متن الحديث حسب الحروف الأبجدية أو حسب حروف المنجد.

3- فهرس الأبيات الشعرية الواردة في النص المحقق.

4- فهرس الأبيات الشعرية المضافة من طرف المحقق.

5- فهرس الأماكن والبلدان الواردة في النص المحقق أو التي أضافها المحقق.

6- فهرس الكتب الواردة في النص المحقق.

7- فهرس تراجم الأعلام الواردة في النص المحقق أو التي أضافها المحقق في الهوامش.

8- فهرس المصادر والمراجع ويرتب حسب الحرف الأول من عناوينها أو حسب أوائل أسماء المؤلفين لها.

9- فهرس الموضوعات الواردة في الكتاب المحقق، وذلك بترتيب العناوين سواء الواردة في النص المحقق أو التي أضافها المحقق بترتيب صفحاتها.

المطلب الثاني: مقدمة التحقيق

على المحقق قبل الشروع في تحقيقه للنص أن يبرز الأمور التالية:

ا- العلم الذي ألف فيه الكتاب بدقة.

2- تعريف الكتاب نفسه وقيمته العلمية بين سائر الكتب المؤلفة في موضوعه.

3 ترجمة مؤلفه ومكانته بين أقرانه من العلماء.

4- وصف النسخ التي اعتمدها في التحقيق.

9 ذكر الاختلافات الكبيرة التي قد تكون بين نسخ التحقيق.

0 الترميز برموز خاصة للنسخ المستعملة في التحقيق مع ذكر الأم منها والنسخ التي يقابلها عليها.

7- تحديد سير عملية التحقيق نقطة نقطة أي كيف يتم له قراءة النسخة الأم وكتابة ما فيها مع المقابلة حرفا حرفا، كلمة كلمة وجملة جملة.

8- ذكر الرموز ووسائل الإيضاح التي اعتمدها في تحقيقه.

0- تحديد نوع التعقيبات الصادرة منه على ما كتبه المؤلف مع كيفية عرض تراجم المؤلفين ومؤلفاتهم الواردة في النص المحقق.

10- ذكر المصادر والمراجع التي قد يرجع إليها في تحقيقه بصورة عامة.

11- ذكر من يتملك أو كان قد تملك النسخ التي التزمها في تحقيقه.

12- ذكر نوع الخط الذي كتبت به كل نسخة وهل تعددت خطوطها أم لم تتعدد مع نوع المداد ولونه.

13- ذكر عدد لوحات كل نسخة من نسخ المخطوط المحقق.

14- ذكر اسم الناسخ مع تاريخ التأليف والنسخ إن أمكن ذلك.

المطلب الثالث: النشر

بعد أن ينهي المحقق كل ما يتعلق بتحقيق الكتاب الذي ألزم نفسه بتحقيقه فمن الأفضل أن يحدث له عدة صور طبق الأصل وأن يسجله في عدة أقراص مرنة وأقراص مضغوطة (CD- Rom) مع ذكر المعلومات الخاصة بالبرنامج الذي أخذت منه، حفظا له الضياع.

فإذا ما أتم ذلك قدمه إلى أي دار للنشر أو إلى أي مطبعة يراها أليق بأن تقوم بطبع هذا الكتاب المحقق ونشره، مع إملاء شروط خاصة به على صاحب المطبعة أو على صاحب دار النشر، ومن هذه الشروط أن يحرص على المظهر الجيد للكتاب من تجليد وغيره ومن خط جذاب للعنوان وغيره، كما يحرص على مخبر الكتاب بأن لا تقع فيه أخطاء إملائية أو أخطاء علمية أو أخطاء في ترتيب الصفحات، وأن يكون الورق والمداد لائقين بطبعه، وقبل الشروع النهائي في الطبع الواسع عليه أن يطّلع على النسخة المطبوعة النموذجية، ويقوم بتصحيحها بدقة حتى إذا ما حدث أي خلل في الكتاب من طرف الطّابع أو النّاشر استدركه المحقق في أوانه.

أبو العباس أحمد الونشريسي ومخطوطه:
المنهج الفائق في علم الوثائق

مُقَدِّمَة

مما لا شك فيه أن الحديث عن أي منتوج فكري لأي إنسان يقتضي الحديث عن حياة ذلك الشخص، مما يستلزم الإلمام بعصره وبالبيئة التي نشأ وترعرع فيها، وبالظروف التي واكبته فتأثر بها وأثر فيها، كما يقتضي الإلمام بأبرز أحداث وقته ومكونات شخصيته وثقافته والتيارات الموجهة لتفكيره، والحوافز التي حفزته لإنتاجه الفكري ذلك، وبذلك يمكن تحديد مكانته بين أهل زمانه، ومكانة منتوجه ذلك بين سائر منتوجاتهم الفكرية.

وإذا علمنا أن الشيخ أبي العباس الونشريسي قد قضى عمره بين دولتين متجاورتين هما دولة بني زيان ودولة بين مرين ثم بني وطاس، كان لزاما علينا أن نعرف ما ذكرناه آنفا في فترة حياته الأولى تحت ظل الدولة الزيانية وهي فترة الصبا والشباب وهي من (894هـ إلى 874هـ)، ثم معرفتها في فترة حياته المتبقية من عمره وهي من (874هـ إلى 914هـ) وهي فترة كهولته وشيخوخته إذ عاشها بفاس تحت ظل الدولة الوطاسية.

1-الحياة السياسية لعصر أبي العباس أحمد الونشريسي

لقد عاش الشيخ أبو العباس الونشريسي في المغرب الإسلامي الذي كان يعج بالصراع الدائم بين الدول الثلاثة، دولة بني أبي حفص في المغرب الأدنى (تونس) ودولة بني زيان في المغرب الأوسط (الجزائر) ودولة بني مرين ثم الوطاسيين فالسعديين في المغرب الأقصى، هذه الدول التي قامت على أنقاض دولة الموحدين بعد أفول شمسها وذهاب ريحها.

ولد الشيخ أبو العباس الونشريسي بالونشريس تحت ظل الدولة الزيانية ثم نشأ وترعرع في عاصمتها تلمسان، إذ تعلم فيها ثم علّم، ولما بلغ أشده أربعين سنة نفي إلى فاس بالمغرب الأقصى وهي يومها بأواخر دولة بني مرين وأوائل دولة الوطاسيين.

عاش الشيخ هذا الصراع بين الإخوة الأشقاء كغيره من العلماء وقلبه يتمزق عما آل إليه أهل الإسلام، أهل القوة الضاربة للأعداء المسيحيين وغيرهم، عاش هذه الفترة التي اشتغل فيها الأشقاء بضرب بعضهم بعضا وفسحوا المجال واسعا أمام الدول الكافرة في البرتغال وإسبانيا وسائر الدول المسيحية بأوربا، فسحوا المجال أمام المسيحيين بإسبانيا ليتّحدوا ويضربوا بقوة على الإخوة في الأندلس مما أدى إلى انحسار الإسلام من فردوس الغرب الإسلامي من الأندلس، من غرناطة، و لم يقف الأمر عند هذا الحد

بل طمع الأعداء حتى في الشواطئ الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، فغزا الأسبان سواحل المغرب الأوسط، وغزا البرتغال سواحل المغرب الأقصى.

ولنضرب شواهد على هذا الصراع الذي كان بين الأشقاء وهذا الطمع الذي حمل الأعداء على ضرب المسلمين في عقر ديارهم.

تنازع الأمراء الحفصيين على قسنطينة وبجاية: يقول الشيخ عبد الرحمان الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر العام: (لم يكن حسن الوفاق قائما بين حكام قسنطينة وحكام بجاية، فقد خضبت حروبهم المتوالية أرض الجزائر خلال القرن الثامن وطيلة سنوات من القرن التاسع الهجري.

كانت ولاية قسنطينة لأبي بكر بن أبي العباس أحمد الحفصي، فنازعه عليها ابن عمه الأمير أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا صاحب بونة -عنابة- وحاصرها سنة 796هـ/1394م فانتصر السلطان أبو فارس الحفصي لأخيه أبي بكر، وأوقع بابن عمه صاحب بونة، فذهب يومئذ أبو عبد الله ملتجئا إلى فاس مستصرخا سلطانها المريني، ومكث هناك إلى أن عقد له سلطان مرين على جيش عظيم زحف به على بجاية سنة 810هـ /1407م فانتصر على صاحبها أبي يحى فعزله وولى مكانه ولده المنصور ثم

ارتحل عنها إلى تونس منتقما من سلطانها أبي فارس، فخالفه السلطان المذكور إلى بجاية فأقصى عن حكمها المنصور وجعل ولايتها لابن أخيه أحمد بن أبي بكر، ثم انبرى لمقاتلة أبي عبد الله فظفر به فقتله وبعث برأسه إلى من نصبه على باب فاس إغاظة لمؤيده وناصره سلطان بني مرين، وتقدم إلى تلمسان فاحتلها سنة 812هـ/1409م ثم كانت هدنة وصلح تبودلت فيه الهدايا والتحف بين ملوك الحفصيين وبني مرين)[1] وهذا ما يبين لنا مدى الصراع المرير بين الأشقاء والطمع المهلك وحب الرياسة والإمارة حتى وإن كان على حساب الصالح العام وصالح الأمة الإسلامية، بل حتى وإن كان على حساب الأهل والأقارب وسائر الرعية التي حكمت بالقهر في ظل الشقاق والتناحر. وكلما انتصب ملك على عرش الدولة خلع ولاة وعمال الملك السابق وعوضهم بولاة وعمال موالين له عاملين من أجل تثبيت حكمه، داعين له ولسياسته، هذا إذا لم يثر عليه هؤلاء الولاة قبل عزلهم وحاولوا الاستقلال بولاياتهم. يقول الشيخ عبد الرحمن الجيلالي: (ولما انتصب السلطان أبو عمرو عثمان على عرش تونس مكان أخيه المنتصر المتوفي سنة 839هـ/1435م قام في وجهه صاحب بجاية وهو يومئذ علي بن عبد العزيز فامتنع عن مبايعته مدعيا أنه أحق بالملك من عمه، وقد

- تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي ج3، ص 60، 61.

شايعه على ذلك فقيه بجاية منصور بن علي بن عثمان، فنشأت عن ذلك حروب وخطوب انهزم فيها صاحب بجاية وامتلكها السلطان أبو عمرو عثمان في جمادى الثانية سنة 843هـ/نوفمبر 1439م فولى عليها ابن عمه عبد المؤمن بن أحمد الأول)[1]

تملك الحفصيين للمغرب الإسلامي:

إن مما أدى إلى استيلاء الحفصيين على سائر المغرب الإسلامي هو استيلاء الجزائر على ما كان بيد الحفصيين آنذاك من شرق الجزائر وكذا توسعها غربا حتى استولت على فاس عاصمة المرينيين، واشتداد شوكة هذه الدولة التي استعادت عزها بعد ضياع بزعامة السلطان الزياني إبي مالك عبد الواحد، وهذا ما جعل السلطان أبا فارس عزوز الحفصي يجهز جيشا ليزحف به غربا حيث استولى على تلمسان عاصمة الدولة الزيانية يوم السبت 13 جمادى الثانية سنة 827هـ/ 13 ماي 1424م ونصب عليها الأمير محمد بن الحمرة بن السلطان تاشفين وابن أخ السلطان أبي مالك عبد الواحد المهزوم، ثم واصل السلطان الحفصي أبو فارس زحفه إلى فاس عاصمة المرينيين، وقبل مداهمتها وصلته بيعة المرينيين فعاد عنها بدون حرب، ولما وصل إلى تونس جاءته بيعة صاحب

---

[1] - المرجع السابق، ج3، ص61.

الأندلس، وبذلك أصبح المغرب الإسلامي برمته تحت حكم الدولة الحفصية بزعامة السلطان أبي فارس.

الأمير محمد بن الحمرة يتحكر للحفصيين:

عندما استولى أبو فارس عزوز على تلمسان وهزم السلطان أبا مالك عبد الواحد الزياني ولي عليها الأمير محمد بن الحمرة بن السلطان عبد الرحمن تاشفين الثاني وابن أخ السلطان المهزوم أبا مالك عبد الواحد، وكان صاحب حكمة ودهاء استطاع أن يستميل الرعية إليه حيث وطد ملكه ورفض الدعوة للسلطان الحفصي مستقلا بذلك ومنفردا بتلمسان. قال الشيخ عبد الرحمن الجيلالي: (عمل على اكتساب قلوب الرعية لحسن سلوكه وسداد سياسته فمال إليه الناس، وتوحدت كلمتهم حوله فثبت بذلك قدمه في الملك وتوطد سلطانه، ويومئذ رفض دعوة بني أبي حفص فألغى ذكرهم من الخطبة والمكاتبات وأعلن بتحرير البلاد واستقلال الدولة الجزائرية الزيانية عن غيرها من دول المغرب)[1]

إلا أن هذا الاستقلال لم يدم طويلا حيث تحرك السلطان أبو فارس عزوز الحفصي مرة ثانية من تونس نحو تلمسان حيث تم له فتحها من جديد في رجب 831هـ/ أفريل 1428م وأعاد السلطان أبا مالك عبد الواحد الذي كان قد هزمه وخلعه عن عرشه سنة

---

[1] - نفس المرجع السابق ، ج3، ص196.

827هـ/1424م، ولم يسكت عن هذا السلطان محمد بن الحمرة حيث استطاع أن يؤلف جيشا من العرب والبربر زحف به على تلمسان مرة ثانية حيث تم له مداهمتها والاستيلاء عليها يوم الخميس رابع ذي الحجة 833هـ/24 أوت 1440م فقتل عمه السلطان أبا مالك ودفنه بالقصر القديم.

ولكن لم تمض أكثر من ثمانية وأربعين يوما حتى فاجأه السلطان الحفصي أبو فارس عزوز بتلمسان مرة ثانية فأسره وذهب به إلى تونس ليبقى فيها أسيرا حتى وفاته سنة 840هـ/1436م، وولى مكانه عمه أبا العباس أحمد العاقل-أي عم محمد ابن الحمرة-.

قال الشيخ مبارك الميلي: (وخرج ابن الحمرة إلى جبال بني يزناسن ثم انتقل إلى جبال برشك وتنس واستألف عربها، وفتح تلمسان رابع ذي الحجة سنة 33هـ[1] وقتل عمه عبد الواحد، فنهض إليه عزوز، وأخرجه إلى جبال بني يزناسن ثانيا، وحاصره بها، فزين له بعض أصحابه النزول إليه ليلين له ، فرفعه معه إلى تونس، واعتقله بقصبتها حتى مات سنة 840هـ)[2].

- أي سنة 833هـ

[2] تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك الميلي، ط/ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976م.

وهكذا كان حال المغرب الإسلامي في هذه الفترة من الناحية السياسية: تناحر، تنافس، تشاكس، تباغض، تلاعب، والهدف واحد: حب الرياسة وبريق الكرسي، والانشغال عما هو أعظم من ذلك ، وكان هذا دائم الحدوث سواء بين الأشقاء في الدولة الواحدة أو بين الأشقاء في الدول الثلاث فهذه دولة بني أبي حفص تزحف على دولة بني زيان بعد ترقب وبعد انتظار لانتهاز فرصة نشوب الخلاف والشتات بين الأشقاء من بني زيان.

حملة السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان التأديبية على السلطان الزياني محمد المتوكل:

في سابع شهر شوال سنة 866هـ/5 جويلية 1463م خرج السلطان أبو عمرو عثمان الحفصي من تونس متجها نحو تلمسان عاصمة بني زيان، وفي طريقه أخضع معظم المدن والقبائل لسيادته حيث استولى على قلعة حليمة بجبال الأوراس كما استولى على أرض بني راشد وغيرها حيث جاءته الوفود تترا مبايعة له وناقمة على الحاكم الزياني الذي أذاقها المر باستبداده، وفي أثنائها كان على رأس تلمسان الزيانية محمد بن محمد بن أبي ثابت المتوكل الذي ثار على أبي العباس أحمد المعتصم الزياني المدعو: العاقل وعزله ثم أبعده إلى الأندلس.

قلت إن السلطان محمد المتوكل لما رأى أن لا طائل له أمام السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان أوفد له وفدا من العلماء ينوب عنه في مبايعته وعقد الصلح معه، وكان الوفد يضم: الشيخ أبا عبد الله محمد بن الشيخ أبي القاسم العقباني -شيخ أبي العباس الونشريسي الذي ندرس له عصره- والشيخ أحمد بن الحسن، ويرأسهما خال السلطان أبي الحسن على بن حمو بن أبي تاشفين حيث بايعوه وعقدوا معه الصلح نيابة عن السلطان محمد المتوكل.

وبعدها عاد السلطان أبي عمرو عثمان الحفصي إلى تونس معرجا على قسنطينة حيث عقد لحفيده أبي عبد الله محمد المنتصر بن أبي عبد الله محمد المسعود إمارتها، وتم للحفصيين السيادة على المغرب الأدنى والمغرب الأوسط.

محنة الشيخ أبي العباس أحمد الونشريسي وطرده من تلمسان:

هكذا كانت عجلة الأحداث تسير في دولة بني زيان خلال هذه الفترة: عراك وفتن داخلية، وثورات مضنية متتالية، والتطاحن على الملك والرياسة أصبح مألوفا بين الإخوة تارة وبين الملوك المتجاورة تارة أخرى، والأسبان يخططون في خفاء لاحتلال القواعد والثغور الإسلامية والمراكز الإستراتيجية على البحرين المتوسط والأطلسي حتى لا تقع النجدة لمسلمي الأندلس الذين كانوا يعيشون محنتهم المهلكة، فاحتل الأسبان مدينة عنابة تمهيدا

للسطو على المراكز الأخرى والبرتغال قد أخذوا يستعدون للاستيلاء على ميناء وهران –للمرة الثانية– دون أن يحرك الحاكم الزياني (محمد بن محمد بن أبي ثابت المتوكل) ساكنا للدفاع عن ثغورهم التي صارت تتساقط في يد العدو تباعا، ولا التفت إلى تضرعات واستغاثات أهل الأندلس الإخوة الأشقاء.

وربما انتقد أبو العباس أحمد الونشريسي –وقد عرف بصراحته وتصلبه في الحق وغيرته على الإسلام– موقف السلطان محمد المتوكل السلبي إزاء هذه الأحداث التي جاءت من المسيحيين إلى عقر دارهم، وسياسته الفاشلة لعدم تبصره بتصريف الأمور بتعقل وحكمة، فلو عامل السلطان الحفصي (أبا عمرو عثمان) يومها بدهاء وحكمة لما لحقته تلك الهزيمة والإهانة والتجائه إلى الصلح معه مرغما بل ولاستماله إلى التعاون معه على محاربة العدو الأكبر الذي كان يعيث فسادا في الأندلس المسلمة، ويستعمل كل الوسائل البشعة لاستئصال أهلها وقلع جذور الإسلام منها، وهاهو ذا قد بلغت به الجرأة إلى اقتحامه الشواطئ الزيانية وغيرها –تحديا واستكبارا–.

وربما غضب الونشريسي لذلك واستنكر على السلطان الزياني محمد المتوكل مواقفه المزرية جهارا، فحملت هذا الأخير أنفة الملوك على طرده من تلمسان وانتهاب داره.

كما يحتمل أن الونشريسي اتهم بالتحريض على مشايعة الملك الحفصي ومبايعته له، أو على الأقل كان من ضمن الذين رحبوا به وما أكثرهم أثناء قيامه بحملة تأديبية للسلطان محمد المتوكل معلقين عليه آمالهم أن يعمل على طرد العدو من شواطئهم بعد أن يئسوا وتيقنوا من عجز حاكمهم الزياني محمد المتوكل وسلبيته إزاء الأندلس، وتوفير الأمن الداخلي والذود عن حوزة الوطن.

وكيفما كان السبب فقد أصدر الأمر السلطاني من السلطان محمد المتوكل الزياني بنفي الشيخ أبي العباس الونشريسي من تلمسان ومصادرة أملاكه، فغادرها في غرة محرم سنة 874هـ-1469م[1] قاصدا فاس عاصمة الدولة المرينية المحتضرة، فوجد بها أصدقاءه من علمائها الذين رحبوا به، وأضفوا عليه من التقدير والتكريم ما أنساه ما أصابه بتلمسان، وكيف لا؟ وقد عرفوه من خلال كتاباته وفتاويه الكثيرة، ومن خلال احتكاكهم به وهو في تلمسان.

ب- **استبداد الوزراء المرينيين:** كان السلطان المريني أبو عنان ذا شخصية قوية وسلطة واسعة استطاع أن ينهض بالدولة المرينية إلى القوة والمجد والعلا، وبعد موته خلفه سلاطين ضعاف لا

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص87 لأحمد بابا التنبكتي، ط/مصر 1351هـ الخيرية للمنجور ص 50 ط/ دار الغرب 1336هـ -1976م، بيروت لبنان.

حول لهم ولا قوة إذا استثنينا السلطانين أبا سالم إبراهيم بن علي وأبا فارس عبد العزيز المستنصر بن علي مما أدى بوزرائهم إلى الاستبداد وظلم الرعية والتسلط على السلاطين أنفسهم حتى، وتحولت السلطة إلى أيدي أوصياء ثعالب زرعوا الضعف والانقسامات في جسم الدولة، (وكانت أسرة الفودودي من أكثر كبار الموظفين خطرا على الدولة، وهكذا فقد خنق أحدهم السلطان أبا عنان وأغرق السعيد في البحر وخلع أبا تاشفين ثم نصب أبا زيان الأول الذي لم يلبث أن لقي حتفه خنقا على يد هذا الوزير (عمر)، وكان من أخطر الوزراء نفوذا: سليمان بن داود الذي عمل على قتل العالم الكبير ابن الخطيب. ومسعود بن رحو: الذي دبر اغتيال عدد من الوزراء، ثم كانت أسرة الوطاسيين التي لم يبق معها للملوك المتأخرين من المرينيين أيّ نفوذ يذكر)[1].

نتيجة سوء الحكم في آخر دولة بني مرين:

وهكذا يتبين لنا مما سبق خطر هؤلاء الوزراء وضعف هؤلاء السلاطين، ولنتصور مدى الفوضى التي عمت أرجاء الدولة خاصة في عهد السلطان أبي عبد الله الحفيد الذي تمردت عليه قبائل

---

[1] - المغرب عبر التاريخ، إبراهيم حركات ج4، ص66، دار الرشاد، المغرب الأقصى.

الشاوية وطمع البرتغال في احتلال المغرب أكثر حيث احتل (آنفا) سنة 874هـ و(أصيلا) سنة 875هـ وتمرد عليه بنوا الأحمر بالأندلس واحتلوا كل المراكز المرينية هناك، كما خرج عليه محمد الشيخ الوطاسي من أصيلا زاحفا نحو فاس سنة 872هـ وكانت نهاية هذا السلطان الضعيف أن خلع من طرف (الحجاج الوطاسي). قال في الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى نقلا عن الحميدي في جذوة المقتبس: (لما قامت عامة فاس على السلطان عبد الحق وأقاموا هذا النقيب من أهل المدينة فاس إماما استمر بها وابنه وزيرا له إلى سنة خمس وسبعين وثمانمائة فعزل عن الإمامة وكان الذي خلعه أبو الحجاج يوسف بن منصور بن زيان الوطاسي، وكان ذلك سبب ذهاب الشريف[1] وهو السلطان أبو عبد الله محمد ابن علي الإدريسي المذكور إلى تونس لمدة يسيرة من خلعه، وبقيت حضرة فاس الجديدة في يد أخت أبي الحجاج المذكور وهي الزهراء المدعوة بزرهون مع قائده السجيري إلى أن تولى الأمر أبو عبد الله محمد الشيخ الوطاسي والله غالب على أمره)[2]

---

[1] - الشريف: هو أبو عبد الله محمد بن علي الإدريسي الجوطي العمراني من بيت بني عمران وهم فرقة من أدارسة فاس، وهو من الشرفاء.

[2] - الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، السلاوي أحمد، ج2 ص159، المطبعة البهية بالقاهرة 1312هـ.

فترة حلول أبي العباس الونشريسي بفاس:

وفي هذه الفترة بالذات حل أبو العباس الونشريسي بفاس حاطا رحاله من تلمسان، فما كان منه إلا أن يشارك أهل الحل والعقد، إذ أسهم في تنحية هذا السلطان الضعيف، وتولية السلطان الوطاسي أبي عبد الله محمد الشيخ.

اعتلاء بني وطاس عرش الدولة المرينية:

وبخلع أبي عبد الله الحفيد تطوى صفحة بني مرين من أبناء عبد الحق ليعتلي عرش هذه الدولة العريقة أبناء الأسرة الوطاسية وهم أبناء عمومة لأبناء عبد الحق والذين قدموا إلى المغرب مع أبناء عبد الحق وكان لهؤلاء أعمال بلاد الريف بالمغرب الأقصى، وعملوا مع أبناء عبد الحق في سائر الوظائف خاصة الوزارة حيث ساعدتهم هذه المناصب على الوصول إلى الرياسة.

قال في الاستقصا: (إن بني وطاس فرقة من بني مرين، غير أنهم ليسوا من بني عبد الحق، ولما دخل بنو مرين المغرب واقتسموا أعماله حسبما تقدم كان لبني وطاس هؤلاء بلاد الريف، فكانت ضواحيها لترولهم وأمصارها ورعاياها لجبايتهم وكان بنو الوزير منهم يسمون إلى الرياسة ويرومون الخروج على بني عبد الحق وقد تكرر منهم ذلك حسبما مر، ثم أذعنوا إلى الطاعة وراضوا أنفسهم على الخدمة فاستعملهم بنو عبد الحق في وجوه الولايات والأعمال

واستظهروا بهم على أمور دولتهم فحسن أثرهم لديها وتعدد الوزراء منهم فيها)[1]

السلطان محمد الشيخ الوطاسي:

لما تولى الملك المريني عبد الحق بن أبي سعيد سنة 823هـ كان الأمر في عصره في يد الوزراء الوطاسيين على رأسهم يحي بن يحي الوطاسي وكان رجلا مصلحا حاول أن يدخل تحسينات على نظام الملك، لكنه قد وشي عليه إلى السلطان عبد الحق فقتله وقتل معه كل الموظفين الوطاسيين، ولم ينج منهم إلا محمد الشيخ أخو الوزير يحي، إذ كان قد خرج إلى الصيد عندما جاءه خبر مقتل أخيه ومن معه، فعرج منها إلى الصحراء، ثم إلى أصيلا حيث عين ملكا عليها، ومنها أخذ يتربص بالسلطان أبي عبد الله الحفيد، إلى أن خلع من طرف أبي الحجاج يوسف بن منصور الوطاسي، إذ كان قد زحف إلى فاس فاسحا المجال واسعا أمام البرتغال ليستولوا على أصيلا في غيابه. وتم له دخولها بعد حرب ضروس بين الإخوة الأشقاء المتعادين فاعتلى عرشها وضمها إلى ملكه ومن ذلك الحين أصبح هو سلطان دولة بني مرين، حيث سميت بعدها دولة بني وطاس.

- نفس المصدر السابق ج2 ص 159.

قال في الاستقصا: (ولما ملك الشيخ –أي محمد الشيخ– أصيلا واستفحل أمره بها تشوفت إليه الأعيان من أهل فاس، والرؤساء من أهل دولة السلطان عبد الحق –قات الوزراء الوطاسيين– وصاروا يكاتبونه ويقدمون إليه الرسائل سرا وربما دعوه إلى القدوم على أن يبذلوا له من الطاعة والنصرة ما شاء، فاستمر الحال على ذلك إلى أن قتل السلطان عبد الحق وبويع الحفيد أبو عبد الله فحينئذ أرهف محمد الشيخ حده واستفرغ المطالبة جهده إلى أن استولى على الحضرة، وصفا له ملك المغرب)[1] ونقل السلاوي عن مرآة المحاسن قال: (لما بايع أهل فاس أبا عبد الله الحفيد قام محمد الشيخ الوطاسي في أصيلا واستتبع القبائل واستفحل أمره وحاصر فاسا وقتا بعد وقت إلى أن دخلت في طاعته في رمضان سنة ست وسبعين وثمانمائة، وخرج منها الحفيد، ودخلها محمد الشيخ المذكور في أوائل شوال من السنة المذكورة –876هـ– وهو مورث الملك لبنيه من بعده)[2]

حالة المغرب الأقصى أوان اعتلاء الوطاسيين عرش الحكم:

وهكذا يتبين لنا مما سبق اعتلاء عرش الدولة المرينية من طرف محمد الشيخ الوطاسي بعد حرب ضروس بين أبناء العم، فورث

---

[1] - نفس المصدر السابق ج2 ص 159.

[2] - نفس المصدر السابق ج2 ص160.

الحكم والبلاد تعج بالفتن والانقسامات والثورات على السلطان، والانفصال عنه، والرعية متذمرة من الوضع الذي آلت إليه دولتهم التي كانت مهابة الجانب لا يطمع فيها طامع، وكيف لا يتذمر الناس وقد أصبح الأسبان والبرتغال يتقاسمون دولتهم —وحكامهم لا يحركون ساكنا لانشغالهم ببعضهم البعض- وفي كل مرة ينقضون على مدينة أو ناحية بقوتهم المتصاعدة، ليجدوا أمامهم قوى منهارة، قوى خائرة، أعياها الزمان نتيجة الحروب الطويلة التي كانت رحاها دائرة بين الأشقاء، بين بني مرين أنفسهم، وبين بني مرين وبني زيان بالمغرب الأوسط، وبينهم وبين بني أبي حفص من جهة أخرى، وبين بني زيان وبني أبي حفص من جهة ثالثة، وهكذا وجدنا النصارى يهاجمون ثغور المسلمين من حين إلى آخر:

البرتغال بالمغرب الأقصى:

لقد أخذ صرح بني مرين يتهاوى منذ أن ركن ملوك هذه الدولة إلى الدعة والراحة وتركوا الجهاد ضد الأعداء وحملوا السلاح في وجوه إخوانهم وانهمكوا في التهالك على الرياسة وأصبح هم كل سلطان نفسه وعشيرته على حساب رعيته فذهبت هيبتهم من نفوس رعيتهم وانتشرت الفوضى في كل الميادين واستبد الولاة فتشتت الوحدة المغربية واضطربت الأحوال،

وملوك الأسبان والبرتغال على الضفة الأخرى يترصدون مثل هذه الفرص التي ما كانوا يحلمون بها أبدا والإسلام قوة في الأندلس وفي الشمال الإفريقي بل وصل بهم الأمر إلى أن تعاهدوا في مؤتمر (طور ديزلاسي) المنعقد سنة 899هـ على استئصال الإسلام من الأندلس والشمال الإفريقي، وفعلا فقد اقتسما الغنيمة: الجزائر لإسبانيا، والمغرب للبرتغال. (وقبل هذا وجدنا البرتغال يترل في سبتة ويحتلها سنة 818هـ، ثم استولوا على آنفا سنة 873هـ ثم في سنة 876هـ احتلوا أصيلا في غياب السلطان محمد الشيخ، وفي سنة 910هـ احتلوا موقع أكادير، ثم آسفي سنة 918هـ ثم أزمور سنة 919هـ، ثم احتلوا المعمورية سنة 921هـ)[1] قال في الاستقصا: (فلما دخلت المائة التاسعة ومضى صدرها، وتداعت دول الغرب من بني أبي حفص بإفريقية، وبني زيان بالمغرب الأوسط وبني مرين بالمغرب الأقصى، وبني الأحمر بالأندلس وأشرفت على الهرم وحدثت الفتن بين المسلمين ودامت فيهم، واشتغلوا بأنفسهم دون الالتفات إلى جهات العدو ومطالبته في أرضه وبلاده على ما كان لهم من العادة قبل ذلك: وافق ذلك ابتداء ظهور الجلالقة وهم الأصبنيول، والبرتغال وهم البرطيقيز بجزيرة الأندلس، واستفحال أمرهم، فكثرت أسفار البرتغال في البحر المحيط ودام تغلبهم فيه،

---

[1] - المغرب عبر التاريخ، إبراهيم حركات ج4 ص172، 173 بتصرف.ط/ المغرب دار الرشاد الحديثة.

ومرنوا عليه، حتى حصلوا على عدة جزائر منه، وكشفوا بعض الرؤوس الساحلية من أراضي السودان وغيرها، ثم شرهوا لتملك سواحل المغرب الأقصى، فهجموا عليها وجالدوا أهلها دونها، حتى تمكنوا منها ونشبوا فيها فقويت شوكتهم وعظم ضررهم على الإسلام وطمحت نفوسهم للاستيلاء على ما وراء ذلك)[1]

جـ- سقوط دولة بني الأحمر واستيلاء الأسبان على غرناطة وطرد المسلمين منها: بدأت شمس الإسلام تأفل في بلاد الأندلس منذ أمد طويل، ومنذ أن اشتغل الأشقاء ببعضهم وتنازعوا على السلطة والزعامة وتركوا الجهاد وركنوا إلى الأرض، وعلى النقيض من هذا كان العدو في جد يبني قوته الضارية التي هزم بها المسلمين هناك. وفعلا فقد كانت آخر أنفاس الدولة الإسلامية هناك من بني الأحمر في عهد أبي عبد الله بن أبي الحسن الذي نازع عمه أبا عبد الله المدعو بالزغل على زعامة غرناطة، آخر معاقل الإسلام في الأندلس، قال في الاستقصا: (... ثم أن العدو عمد لأسيره أبي عبد الله بن أبي الحسن، فوعده ومناه وأظهر له من أكاذيبه وخدعه غاية هناء، وبعثه للتشغيب على عمه طلبا لتفريق كلمة المسلمين وعكس مرادهم وتوصلا إلى ما بقي عليه

---

[1] - الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، السلاوي الناصري ج2، ص 155،156 المطبعة البهية بالقاهرة 1312هـ/ 1894م.

من حضور المسلمين وبلادهم، وطالت الفتنة بين العم وابن الأخ، وكل عقد كان بين العدو وبينه انحل وانفسخ، وخبت العامة الذين هم أتباع كل ناعق في ذلك ووضعت وكان ذلك أعظم الأسباب المعينة للعدو على التمكين من أرض الأندلس والتهامها واستئصال كلمة الإسلام منها، ثم إن ابن الأخ –أي أبا عبد الله ابن أبي الحسن– استولى على غرناطة بعد خروج العم –أي أبي عبد الله الزغل– منها إلى الجهاد ففت ذلك في عضده وعطف إلى وادي آش فاعتصم بها، وحاصر العدو مالقة فقاتله أهلها بكل ما أمكنهم حتى إذا لم يجدوا للقتال مساغا نزلوا على الأمان فاستولى العدو عليها أواخر شعبان سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة (892هـ) ثم استولى بعد ذلك على وادي آش وأعمالها صلحا ودخل في طاعته صاحبها أبو عبد الله العم بعد أن استهوى العدو قواده بالأموال الجزيلة، ثم أن العدو خذله الله راسل أبا عبد الله بن أبي الحسن صاحب غرناطة وعرض عليه الدخول في الخطة التي دخل فيها عمه من النزول له عن البلاد على أموال جزيلة يبذلها له ويكون تحت حكمه مخيرا في أي بلاد الأندلس شاء فشاور رعيته فاتفق الناس على الامتناع والقتال فعند ذلك أرهف العدو حده وجعل غرناطة وأهلها من شأنه بعد أن استولى أثناء هذه الفتن والتضريبات على

حصون كثيرة)[1] وفي يوم 22 جمادى الآخرة سنة 896هـ خرج الأسبان لمحاصرة غرناطة وإرغام حاكمها أبا عبد الله بن الحسن على الاستسلام وتسليم قصر الحمراء وبالفعل فقد تم لهم ذلك بعد حصار طويل وفي 2 ربيع الأول سنة 897هـ دخل الأسبان قصر الحمراء بعد أن استوثقوا على شروط معاهدتهم مع المسلمين بخمسمائة من أعيان غرناطة رهنا خوف الغدر... وبعد مدة تبين أن الغادر هو العدو الأسباني، إذ لم يلتزم بشروط المعاهدة وأخذ يُنصّر المسلمين بالقوة والقهر.

تنصير أهل الأندلس بعد سقوط غرناطة:

قال في الاستقصا: (وبالجملة فإنهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك وامتنعت (قرس) وأماكن كذلك منها (بلغيق وأندرش) وغيرهما فجمع لهم العدو الجموع واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسبيا)[2]

---

[1] - الاستقصا، اللسلاوي، ج2 ص 152 المطبعة البهية بالقاهرةن مصر 1312هـ/ 1894م.

[2] - نفس المصدر السابق ج2، ص 152، 154.

إجلاء المسلمين من الأندلس بعد سقوطها:

ولما ضاقت بهم الأندلس بما رحبت وذاقوا الويلات: أجلاهم النصارى عنها نهائيا سنة 1017هـ. قال في الاستقصا: (ولما أجلاهم العدو عن جزيرة الأندلس: خرجت ألوف منهم بفاس وألوف أخرى بتلمسان ووهران، وخرج جمهورهم بتونس فتسلط عليهم في الطرقات الأعراب ومن لا يخشى الله تعالى من الأوباش، ونهبوا أموالهم، وهذا ببلاد تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المضرة، وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم، وكذلك بتطاوين وسلا وبيجة الجزائر، ولما استخدم سلطان المغرب الأقصى وهو المنصور السعدي منهم عسكرا جرارا وسكنوا سلا: كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور، وحصنوا قلعة سلا وهي رباط الفتح بنوا بها القصور والحمامات والدور)[1]

2-الحياة العلمية والفكرية لعصر أبي العباس أحمد الونشريسي:

من غريب المفارقات أن الحياة العلمية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين كانت تسير على عكس الحياة السياسية في المغرب الإسلامي إذ كانت فترة عطاء وفترة ازدهار علمي رائع حيث كان تشجيع الدولة للحركات العلمية يتخذ صورا وأشكالا

---

[1] - نفس المصدر السابق ج2، ص152، 154.

مختلفة على مر العصور فمن بناء المدارس والزوايا والمساجد إلى تزويدها بالخزائن العلمية، ومن مساعدة الطلبة بالمنح والجوائز إلى عقد المجالس العلمية ومشاركة الملوك فيها كطلبة أو مناقشين، إلى تبجيل العلم والعلماء ورفعهم إلى مستوى عال في هيكل الدولة، وكانوا مع ذلك لا يختارون للوظائف الدينية من خطابة في المساجد وقضاء في المحاكم ومجالس للشورى إلا ذوي الكفاءة العلمية والورع الديني كما يتبين لنا فيما يلي:

لقد ظهرت عدة مدن في الأقطار الثلاثة تعتبر مراكز إشعاع للعلم وقبلة للمتعلمين والمعلمين إذ كانت تزخر بمدارسها ومساجدها التي كانت تشع علما ساطعا على الراعي والرعية ومن هذه المدن نذكر: فاس وسلا ومكناس وطنجة وسبتة وآسفي وأزمور وآنفا وأغمات والقصر الكبير ووجدة بالمغرب الأقصى.

وتلمسان وطبنة وقسنطنية وتاهرت وبجاية ومازونة ووهران وتنس والجزائر وعنابة وبسكرة ووارکلة بالمغرب الأوسط، والقيروان وتونس بالمغرب الأدنى.

ومن أشهر المدارس التي ظهرت في هذه المدن نذكر ما يلي:

- مدرسة الحلفائيين بفاس وهي أول ما بني من مدارس في عهد بني مرين، وتدعى مدرسة الصفارين، وكانت مجهزة بخزانة علمية كبيرة.

- مدرسة البيضاء أو فاس الجديدة بناها أبو سعيد سنة 720هـ وكان لها طلبة يرتلون القرآن وأحباسا كثيرة، وفي عهد العلويين حولت إلى معهد للتخصص العلمي[1]
- مدرسة الصهريج بفاس، بناها أبو الحسن سنة 721هـ قرب مسجد الأندلس وكان يومئذ خليفة لوالده[2]
- مدرسة العطارين: بنيت سنة 723هـ في عهد أبي سعيد عثمان على يد الشيخ عبد الله بن القاسم المزوار بفاس.
- مدرسة الطالعة بسلا: بناها أبو الحسن سنة 733هـ.
- المدرسة البوعنانية بفاس: بناها أبو عنان ابن أبي الحسن سنة 757 هـ وكان لها أوقافا كثيرة.
- المدرسة المصباحية بفاس: نسبة إلى أول أستاذ فيها هو أبو الضياء مصباح بن عبد الله اليلصوتي.
- مدارس تلمسان الخمس وهي:

مدرسة منشار الجلد بتلمسان وكذا مدرسة ولدي الإمام والتي أسسها أبو حمو موسى الأول ثم المدرسة التاشفينية التي أسسها أبو تاشفين بن أبي حمو موسى حيث كانت أفخم مدرسة بالمغرب

---

[1] - المغرب عبر التاريخ إبراهيم حركات ج4 ص134 دار الرشاد الحديثة المغرب الأقصى.

[2] - المصدر نفسه ج4 ص 134.

الأوسط بقيت مركز إشعاع إلى أن حولها المستعمر الفرنسي بعد هدمها إلى دار البلدية.

ومدرسة العباد وكانت خارج تلمسان حيث قام بإنشائها السلطان أبو الحسن المريني سنة 748هـ.

والمدرسة اليعقوبية التي أسسها أبو حمو موسى الثاني سنة 765هـ. وكان الملوك الزيانيون يولون هذه المدارس عناية خاصة ويجرون الأرزاق والمنح للأساتذة والموظفين بها وكانت هذه المدارس تعتبر معاهد عليا للتعليم ولتكوين الإطارات في شتى المجالات[1]

وإلى جانب هذه المدارس التي كانت تعتبر مدارس نظامية يأوي إليها الطلبة في نظام داخلي على الأغلب وتجري للأساتذة مرتبات، أقول إلى جانبها كانت المساجد تعتبر جامعات تعطي العلوم المختلفة بنظامها الحلقي، ونذكر من أبرز هذه المساجد:

جامع فاس الجديد الذي بني سنة 677هـ في عهد أبي يوسف وبنيت له مقصورة سنة 889هـ ويتصل الجامع بالقصر الملكي بواسطة باب يؤدي إلى بيت الصلاة، وجامع القرويين بفاس وجامع العباد قرب تلمسان الذي بناه أبو الحسن المريني سنة

- الجزائر عبر التاريخ ج3 ص438 تأليف مجموعة من الدكاترة والنص للدكتور عبد الحي حاجيات المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 بتصرف.

740هـ وكان يحتوي على مدرسة ملحقة به وله مبرتان من الأوقاف إحداهما لتعليم الأميين والأخرى لإرواء الظامئين[1]

(وجامع القصبة بتلمسان والجامع الكبير وهما من بناء أبي الحسن المريني، ومسجد أولاد الإمام ثم جامع وجدة الذي بناه أبو يعقوب، ومسجد سيدي إبراهيم الذي شيده حمو موسى الثاني الزياني، ومسجد المنصورة بتلمسان ثم مسجد سيدي أبي مدين الذي شيده السلطان أبو الحسن المريني، ومسجد سيدي الحلوي الذي أسسه أبو عنان المريني، وإلى جانب كل مدرسة من المدارس التي ذكرناها آنفا كان يوجد مسجد للصلاة والحلق)[2] يقول الدكتور إبراهيم حركات: (وفي هذا العهد بدأ تخصيص أوقاف لكراسي معينة للتدريس، ومنها:

1- كرسي سليمان الونشريسي 705هـ/ 1306م لتدريس كتابي التفريع والمدونة بجامع الأندلس.

2- كرسي أبي الحسن الصغير الزويلي علي بن محمد 719هـ/1319م لتدريس كتاب "تهذيب البراذعي" للمدونة بجامع الأزدغ بحومة فندق اليهودي.

---

[1] - المغرب عبر التاريخ، حركات ج4 ص187 بتصرف.

[2] - نفس المصدر السابق ج4 ص137 بتصرف.

3-كرسي أبي الحسن علي الصرصري لتدريس كتاب التهذيب أيضا، أنشأه أبو عنان، وكل الجوامع المذكورة بفاس)[1]

4-كرسي أبي العباس الونشريسي 876هـ لتدريس المدونة بالمدرسة المصباحية بفاس، وظل يدرس فيه إلى أن توفاه الله، فخلفه ابنه عبد الواحد الونشريسي، ثم خلفه الشيخ الحميدي[2].

طريقة التدريس:

أما طريقة التدريس في المدارس السالفة الذكر وما يدرس فيها من علوم فيقول عنها عبد الحميد حاجيات:

(أما طريقة التدريس الجاري بها العمل آنذاك فكانت طريقة الإلقاء والشرح، يقوم أحد الطلبة النجباء بقراءة نص من كتاب مشهور في المادة المدروسة، ويتولى الأستاذ شرحه فقرة بعد فقرة حسبما يتيسر له من غزارة حفظه وسعة اطلاعه، والطلبة يقيدون في كراريسهم ما يسترعي انتباههم من شرح الأستاذ وأجوبته على أسئلة الطلبة).

---

[1] - المصدر نفسه، ج4 ص137.

[2] - الفهرس للمنجور، ص 53.

برامج التدريس:

ثم يواصل حاجيات فيقول: (ومن جهة أخرى، فقد بقيت العلوم الدينية تحتل الصدارة، غير أن معظم العلماء كانوا يعنون إلى جانب ذلك بكثير من العلوم الأخرى، من لغة ونحو وبلاغة ومنطق وتاريخ وطب وحساب وتنجيم وغير ذلك، ويؤلفون فيها كتبا عديدة، فاتسعت دائرة العلوم بالنسبة للطلبة وكثرت مشاركة العلماء في علوم مختلفة، بالإضافة إلى تخصصهم في أحد المجالات العلمية أو أكثر وكذلك انتشرت ظاهرة تأليف المختصرات ونظم القصائد في شتى العلوم لتسهيل تلقينها وذلك أن كثرة العلوم ووفرة التأليف وضخامة حجم العديد منها قد جعلت الطلبة لا يقدرون على استيعابها جميعا وأصبح الكثير منهم يكتفون بحفظ المختصرات ويستعينون بما ألف من الشروح عليها لإيضاح ما جاء غامضا فيها)[1]

الكتب الأكثر انتشارا:

أما الكتب التي انتشرت أكثر في المغرب الإسلامي في هذه الفترة فهي مدونة وموطأ الإمام مالك ومختصر الشيخ خليل

---

[1] - الجزائر عبر التاريخ ج4 ص 438، 439، مجموعة من الدكاترة منهم حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.

ورسالة ابن أبي زيد القيرواني ومختصر ابن الحاجب وغيرها، ولهذا جاءت معظم الكتب الفقهية التي ألفت في هذه الفترة هي شروح لها وحواشي على شروحها، وشروحا لمختصرات أخرى، حيث كانت ظاهرة تأليف المختصرات واضحة قبل وأثناء هذا العهد.

موقف أهل العلم من تدريس المختصرات وعقمها:

ولقد اختلف الناس في قبول أو رفض هذه الظاهرة –ظاهرة المختصرات وما عليها–، فمنهم عبد الرحمن بن خلدون، ومحمد المقري اللذين كانا يلومان طلبة عصرهما لاقتصارهم على المختصرات وإرهاق أنفسهم في حفظها والانكباب على شروحها حيث كانت طريقة تلقي هذه العلوم وغيرها هكذا عقيمة مرهقة للطالب كما يقول ابن خلدون في مقدمته: (وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا –يعني القرن الثامن الهجري– يجهلون طرق التعليم وإفادته ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم، يطالبونه بإحضار ذهنه في حلها، ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه، ويكلفونه وعي ذلك وتحصيله، ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مباديها وقبل أن يستعد لفهمها)[1]

---

[1] - مقدمة ابن خلدون ج2 ص 118.

ثم يذكر ابن خلدون تأثير العالمين: القاضي أبي القاسم ابن زيتون وأبي علي ناصر الدين المشذالي الزواوي في كل من تونس وتلمسان وبجاية واتصال سند التعليم في هذه المراكز وانقطاعه في المغرب الأقصى إذ يقول: (وبقيت فاس وسائر أقطار المغرب خلوًا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان ولم يتصل سند التعليم فيهم فعسر عليهم حصول الملكة والحذق في العلوم)[1]

وصف حالة الطالب التعسة بالمغرب:

ثم يصف حالة الطلبة في هذا القطر فيقول: (إنك تجد طالب العلم منهم -المغاربة- بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من يرى نفسه منهم أنه قد حصل تجد ملكته قاصرة في علمه إن فاوض أو ناظر أو علّم وما أتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده، وإلا فحفظهم أبلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك، ومما يشهد بذلك في المغرب أن المدة المعينة لسكن طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة، وهي بتونس

---

[1] - المصدر نفسه ج2 ص118.

خمس سنين، وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هي ما يتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية أو اليأس من تحصيلها فطال أمدها في المغرب لهذه المدة لأجل عسرها من قلة الجودة في التعليم خاصة، لا مما سوى ذلك، وإن أيسر الطرق للحصول على هذه الملكة العلمية والحذق في العلوم هو فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها)[1]

ويذكر ابن مريم في بستانه نعي محمد المشذالي المعاصر لابن خلدون على طلبة العلم آنذاك قوله: (ثم كل أهل هذه المائة –أي المائة الثامنة للهجرة- عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات وشق الشروح والأصول الكبار فاقتصروا على حفظ ما قل لفظه وانزر حفظه، وأفنوا أعمارهم في حل لغوزه وفهم رموزه، ولم يصلوا إلى رد ما فيه إلى أصوله بالتصحيح، فضلا عن معرفة الضعيف من ذلك والصحيح، بل هو حل مقفل، وفهم أمر مجمل، ومطالعة تقييدات زعموا أنها تستنهض النفوس، فبينما نحن نستكبر العدول عن كتب الأئمة إلى كتب الشيوخ أتيحت لنا تقييدات المجهلة بل مسودات المسوخ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون)[2]

---

[1] - نفس المصدر السابق ص 119.

[2] - البستان لابن مريم ص217، الجزائر 1326هـ/ 1908م.

المقارنة بين طريقة تعليم أهل إفريقية وأهل المغرب:

ويذكر ابن خلدون في مقدمته كيف كان التلميذ يبدأ مشواره مع العلم والتعلم، ثم يأسف للنتائج التي كان يصل إليها فيقول: (وأما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءته أكثر مما سواه.

وعنايتهم بالخط تبع ذلك، وبالجملة فطريقتهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس لأن سند طريقتهم في ذلك متصل بمشيخة الأندلس الذين جازوا عند تغلب النصارى على شرق الأندلس واستقروا بتونس وعنهم أخذ ولدانهم بعد ذلك)[1]

ثم يذكر حال التلميذ بالمغرب فيقول: (فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه أو

---

[1] - مقدمة ابن خلدون ج2 ص 277 ط/ باريس.

ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة)[1]

نتائج الاقتصار على حفظ القرآن الكريم فقط:

ويواصل ابن خلدون في مقدمته ليبين لنا نتائج ذلك التعليم فيقول: (فأما أهل إفريقية والمغرب فأفادهم الاقتصار على القرآن القصور عن ملكة اللسان جملة، وذلك أن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة، لما أن البشر مصروفون عن الإتيان بمثله، فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على أساليبه والاحتذاء بها، وليس لهم ملكة في غير أساليبه فلا يحصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي، وحظه الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام، وربما كان أهل إفريقية في ذلك أخف من أهل المغرب: لما يخلطون في تعليمهم القرآن بعبارات العلوم في قوانينها كما قلناه، فيقتدرون على شيء من التصرف ومحاذات المثل بالمثل، إلا أن ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة لما أن أكثر محفوظهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة)[2]

---

[1] - نفس المصدر السابق ج2، ص 276.

[2] - نفس المصدر السابق ج2 ص 278.

ثم يأسف على أهل المغرب أنهم لم يأخذوا بطريقة الأندلس في تعليمهم للأطفال إذ كانوا يقدمون لهم آنذاك دروس اللغة والأدب والحساب أولا، ثم حفظ القرآن وسائر علوم الدين ثانيا، إذ يقول: (ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم وقبوله التعليم لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى ما أخذ به أهل المغرب وللمشرق.... ويا غفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله في أول أمره، يقرأ ما لا يفهم، وينصب في أمر غيره أهم عليه)[1]

ورغم هذه الطريقة العقيمة في التعليم كما رأينا عبد الرحمن بن خلدون ثائرا عليها إلا أنه قد برع في هذا العهد –وإن كانوا قلة– علماء أجلاء وفقهاء فطاحل اشتهروا بالزعامة في العلم والرياسة في الدين وما خلى قطر من الأقطار منهم أبدا، حتى لقد وجدنا من العلماء من بلغ صيته حتى المشرق الإسلامي قضاة وأساتذة، منهم: برهان الدين إبراهيم الصنهاجي وبدر الدين الغماري، وأحمد بن يعقوب الغماري وكلهم قضوا بالشام.

وكل هذه العوامل التي ذكرناها سابقا سواء أكانت سياسية أم فكرية لا محالة أنها قد أثرت في شيخنا أبي العباس أحمد الونشريسي التأثير البالغ، كما لا محالة أنه قد أثر فيها التأثير البالغ حيث ترك

---

[1] - المصدر نفسه ج2 ص 278.

بصمات كثيرة ظاهرة شاهدة له على هذا التأثير، فمن هو هذا الفقيه البارع يا ترى؟.

3- ترجمة الشيخ أبي العباس أحمد الونشريسي:

قال عن نفسه في أول صفحة من كتابه المنهج الفائق: "يقول أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي، الونشريسي الأصل، التلمساني المنشأ الفاسي الاستيطان والقرار وفّقه الله..."

وهكذا يكون الشيخ قد أراحنا من تعب البحث عن اسمه ونسبه وبلده الذي ولد فيه والبلدة التي نشأ فيها، ثم بلده الذي استوطن فيه واستمر قراره فيه.

فاسمه إذن: أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي.

ومكان ولادته: بلدة ونشريس، وهي من الدولة الزيانية يومها.

ومكان نشأته وترعرعه: تلمسان عاصمة الدولة الزيانية.

ومكان استيطانه وقراره: مدينة فاس بالمغرب الأقصى عاصمة الدولة المرينية ثم الدولة الوطاسية بعد، فالدولة السعدية.

تاريخ ميلاده ثم وفاته: جاء في نيل الابتهاج ما نصّه: إن أبا العباس الونشريسي قد توفي سنة 914هـ وعمره نحو الثمانين سنة[1]

---

[1]- نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي، ص 88، ط/ مصر 1351هـ.-

ومن هذه العبارة نستنتج أن تاريخ ميلاده كان في حدود سنة 834هـ-1430م وتاريخ وفاته قد صرح به أحمد بابا التنبكتي وهو 914هـ-1508م وقد دفن بباب الفتوح قرب ضريح محمد بن عباد.

بعض شيوخه:

ولقد برز في كتب التراجم بعض شيوخه الفطاحلة الذين أسهموا في تكوين شخصيته الفذة، منهم:

1- أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني الحافظ الحجة في الحديث (ت 854هـ)[1]

2- أبو عبد الله محمد بن علي بن قاسم الأنصاري الشهير بالمريّ (ت 864هـ)[2]

3- أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي الشهير بابن العباد (ت 871هـ)[3]

4- أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق الكفيف (ت 901)[4]

---

[1]- الوفيات للونشريسي ص 144 دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط 1396هـ-1976م

[2]- نيل الابتهاج ص 118.

[3]- شجرة النور الزكية ص 264 لمخلوف ط/ دار الكتاب العربي -بيروت.

[4]- نيل الابتهاج ص 330.

إلى غيرهم من فطاحل علماء تلمسان.

بعض تلاميذه: كما قد برز في كتب التراجم بعض تلاميذه الأفذاذ منهم:

1- أبو زكريا يحي السوسي، إذ لازم الشيخ حتى صار من كبار الفقهاء في عصره[1]

2- أبو محمد الحسن بن عثمان الجزولي، إذ لازم الشيخ إلى سنة 908هـ[2]

3- أبو محمد عبد السميع المصمودي الفقيه حيث لازم الشيخ إلى أن تفقه عليه[3]

4- أبو محمد عبد الواحد الونشريسي ابن أبي العباس الونشريسي (ت 955هـ)[4]

بعض شهادات العلماء فيه:

1- قال عنه أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني: "الفقيه الكبير، الحافظ المحصل الشهير العلامة المشارك القدوة، المنصف

---

[1] - فهرسة المنجور ص 51.

[2] - نفس المصدر السابق ص 5.

[3] - فهرست المنجور ص 51.

[4] - شجرة النور الزكية لمخلوف محمد ص 282.

الأسوة، حامل لواء المذهب المالكي على رأس المائة التاسعة وإمام المغرب والمشرق"[1]

2- وقال عنه ابن عسكر في دوحته: "الشيخ الإمام المصنف الأبرع الفقيه الأكمل الأرفع، البحر الزاخر، والكوكب الباهر، حجة المغاربة على أهل الأقاليم، وفخرهم الذي لا يجحده جاهل ولا عالم"[2]

آثاره العلمية:

لقد عاش أبو العباس طيلة حياته ممتهنا للعلم، تعلما وتعليما ثم تأليفا فترك تلاميذ أفذاذًا خاصة في الفقه المالكي كانوا بعده نجوم المذهب منهم ما ذكرت سابقا وغيرهم كثير، كما ترك مؤلفات كثيرة قد بلغت أربعا وعشرين مؤلفا أو تزيد كانت الأقباس النورانية في درب العلوم، أذكر بعضا منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

1- المنهج الفائق والمنهل الرائق والمغني اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

2- إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك في القواعد الفقهية المالكية.

---

[1] - سلوة الأنفاس 153/2 ط/ فاس، المغرب الأقصى.

[2] -دوحة الناشر لابن عسكر ص 38.-

3-- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب.

4-- تعليق على مختصرات ابن الحاجب الفقهي.

5-- الدرر القلائد وغرر الدرر والفوائد في الفقه المالكي.

6-- مختصر أحكام البرزلي.

7-- الفهرسة.

8-- عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق.

عرض الكتاب المحقق:

اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه:

لم يترك لنا الشيخ مجالا للبحث عن اسم كتابه وعن نسبته إليه إذ كفانا عناء النصب في البحث عنهما فقال في الصفحة الأولى من كتابه هذا بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

"يقول أضعف عبيد الله الأوفى إلى كرم مولاه وشاكرا على الذي أولاه:

العبد المستغفر الفقير الحقير: أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي الأصل، التلمساني المنشأ، الفاسي الاستيطان والقرار وفقّه الله: الحمد الله الذي بحمده يفتتح ويختتم،

ويستكمل كل أمر ذي بال ويستتم... وترجمتها بالمنهج الفائق والمنهل الرائق والمغني اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق"

فعلمنا إذن من هذا النص اسم الكتاب ونسبته إليه.

ولهذا فقد أجمعت كل المصادر على هذا الاسم وهذه النسبة لمؤلفه، سواء كانت مصادر التراجم التي ظهرت فيها ترجمة أبي العباس وذكرته معه كما في نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي أو الكتب التي اعتمد أصحابها على هذا الكتاب أو نسخ المخطوطة المختلفة، وفي الحقيقة فإنه ما من مؤلف في علم التوثيق جاء بعد أبي العباس إلا وقد اعتمد كثيرا أو كليا على هذا الكتاب، وكلهم مجموعون على اسم الكتاب وعلى نسبته إلى أبي العباس ما عدا الأستاذ حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون على أسامي الكتب والفنون إذ نسبه خطأً إلى أبي العباس أحمد بن يحي بن أبي محلة التلمساني (ت 776هـ).

الغرض من تأليف الكتاب:

وأبو العباس أحمد الونشريسي قد كفانا عناء البحث عن الغرض من تأليف هذا الكتاب في ثناياه كذلك إذ بادر في الصفحة الأولى منه كعادته في معظم تآليفه إلى التصريح بهدفه وغرضه من مؤلفه هذا إذ قال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم:

"أما بعد: فإني لما رأيت علم الوثائق من أجلّ ما سُطر في قرطاس، وأنفس ما وُزن في قسطاس، وأشرف ما به الأموال والأعراض والدماء والفروج تستباح وتحمى، وأكبر زكاة للأعمال وأقرب رُحمى، وأقطع شيء تنبذ به دعوى الفجور وترمى، وتطمس مسالكها الذميمة وتُعمى، وكان جمهور المنتصبين في هذا الوقت لعقدها قد قصر عن إحكام أحكامها باعُهم، وفرّ في مجالها الرحب انطباعهم واطرحوا أسرارها، وهتكوا أستارها، ونبذوا دقائقها المهمة إلى وراء، واقتصروا على المسطرة، حتى أكل شرار الخلق بالباطل أموال الورى، رأيت على إضاعتي وقلة بضاعتي: أن أضع مقالة جامعة في طريقتها المثلى، نافعة إن شاء الله تحفظ وتتلى، يفهمها الذكي والبليد، ويشفع بها الشيخ والوليد، تغني من سار بسيرها، عن مطالعة الكثير من غيرها، وترجمتُها بالمنهج الفائق، والمنهل الرائق، والمغني اللائق، بآداب الموثق وأحكام الوثائق. والله أسأل متقربا إليه، ومتواضعا بين يديه، أن يجعله من نافع الأعمال لديه، خالصا لجلاله محسوبا للعبد الفقير المذنب في حسنات أفعاله، كما أسأله جل اسمه أن يستر قبائح جهلي، وأن يغفر لي ولكافة أهلي، فهو الذي لا إله غيره يؤمل، وعليه في كل الأمور التّكلان والمعوّل"

محتوى الكتاب:

وقد قسم الكتاب إلى ستة عشر بابا كما صرح به هو كذلك إذ قال مبادرا إلى ذكر ذلك في الصفحة الثانية:

"وحصرته في ستة عشر بابا:

- **الباب الأول:** في حكم الكتب والإشهاد وسبب مشروعيتهما.
- **الباب الثاني:** في شرف علم الوثائق وصفة الموثق وما يحتاج إليه من الآداب.
- **الباب الثالث:** في حكم الإجارة على كتابتها، وفي وقت تعيينها وتعيين دافعها، وفي حكم الشركة المستعملة بين أربابها.
- **الباب الرابع:** فيما ينبغي للموثق أن يحترز منه ويتفطن إليه.
- **الباب الخامس:** في الأسماء والأعداد والحروف التي تنقلب وتتغير بإصلاح يسير.
- **الباب السادس:** فيما عليه مدار الوثائق وذكر المعرفة والتعريف.
- **الباب السابع:** في التأريخ وبأي شيء يؤرخ أبالليالي أو بالأيام؟، واشتقاق الشهور وأسمائها وما يضاف إليه منها شهر وما لا يضاف إليه منها، وفي المذكر منها والمؤنث، وفي الألفاظ التي تستعمل في أول الشهر ووسطه وآخره وفيما لابدّ

للشاهد أن يؤرخ فيه شهادته من العقود، وما ليس عليه أن يؤرخه، وفي العقود التي تؤرخ باليوم والساعة.

- **الباب الثامن:** في حكم الاعتذار عما يقع في الوثيقة من محو أو بشر، أو لحن، أو تخريج، أو إفهام، وكيفية الاعتذار ومحله.
- **الباب التاسع:** في كيفية وضع الشهادات.
- **الباب العاشر:** في الألفاظ التي يتوصل الموثقون بها إلى إجازة مالا يجوز شرعا.
- **الباب الحادي عشر:** في العقود التي يجب فيها ذكر الصحة والتي لا يجب ذكرها فيها.
- **الباب الثاني عشر:** في العقود التي لابد فيها من ذكر معرفة القدر.
- **الباب الثالث عشر:** في العقود التي ينبغي للموثق أن يضمن فيها معاينة القبض والسداد، وذكر الأشياء التي لا تقبل فيها الشهادة مُجملة، وذكر ما ينبغي أن يكون من الوثائق على نسختين أو نُسخ.
- **الباب الرابع عشر:** في العقود التي ليس على الشاهد قراءتها ولا حفظ ما فيها.
- **الباب الخامس عشر:** في ذكر ما تخالف فيه وثائق الاسترعاء سائر الوثائق، وفي استفهام الشهود واستفصالهم، وذكر العقود التي ينبغي للعدل أن لا يضع شهادته فيها.

- **الباب السادس عشر**: وهو لباب اللّباب وخاتمة ما تقدم من الأبواب في التنبيه على ما لا يسع إهماله من عيون الفتاوى من أحكام كل باب"، فهكذا قد بين الشيخ محتوى كتابه بتوضيح محتوى كل باب فيه، ثم شرع يفصل كل باب تفصيلا، ولأنقل بعض ما في هذه الأبواب على سبيل التمثيل حتى يتضح ما نقول:

1- **"الباب الأول في حكم الكَتْب والإشهاد وسبب مشروعيتهما**: اعلم وفقنا الله لطاعته أن العلماء رضي الله عنهم وأرضاهم اختلفوا في حكم الكَتب والإشهاد، فذهب جمهورهم إلى أن الأمر به أمر ندب وإرشاد إلى حفظ الأموال وإزالة الريب..." حيث بين فيه بدقة حكم الكَتب والإشهاد واختلاف الأئمة فيه ذاكرا حجة كل إمام في الغالب.

2-**"الباب الثاني في شرف علم الوثائق وصفة الموثق وما يحتاج إليه من الآداب**: اعلم أن علم الوثائق من أجلّ العلوم قدرا، وأعلاها إخافة وخطرا، إذ بها تثبت الحقوق، ويتميز الحرّ من الرقيق..." حيث أخذ يعدد شرف هذا العلم ومكانته في حياة الناس ثم مكانة الموثق وما ينبغي له أن يتصف به من الآداب والأخلاق العالية، واصفا لنا حالة الموثقين في بلاده في ذلك الزمان ومتأسفا شديد الأسف على ما وصل إليه هؤلاء الموثقون من انحطاط في الأخلاق وإهمال في التوثيق.

3-"الباب الثالث في حكم الإجارة على كتابتها وفي وقت تعيينها وتعيين دافعها، وفي حكم الشركة المستعملة بين أربابها: اعلم أن العلماء رضي الله عنهم وأرضاهم اختلفوا في جواز أخذ الأجرة على كَتب الوثائق، فأجاز ذلك قوم ومنعه آخرون وأخذ يذكر حجة كل فريق بإسهاب وردهم على غيرهم، كما تطرق إلى مسألة أخذ الأجرة من بيت المال أو من العاقد واختلاف الأئمة فيها، وجواز الشركة في الإشهاد وفي الكَتب بإسهاب طويل.

4-"الباب الرابع في ما ينبغي للموثق أن يحترز منه ويتفطن إليه: اعلم جعلني الله وإياك ممن أخذ حظه من الحزم وكفله، وجنبنا طرق الإهمال والغفلة، أن مما ينبغي للموثق أن يتحرز منه أن يتمم عليه زيادة حرف في الكتاب، فقد تغير الألف المعنى إذا زيدت، مثاله أن يقر رجل بألف درهم لرجل فيكتب في الوثيقة أقر أن له عنده ألف درهم وإن لم يذكر نصف المبلغ أمكن زيادة الياء فتصير ألفي درهم..." حيث أخذ يعدد الإمكانيات التي إن أضاف فيها أو أنقص الموثق حرفا أو بعض الحروف تغير المعنى فزاد في المبلغ أو أنقص، أو تغير طرف العقد، أو تغير جنس العاقد حتى... وكذا إذا كانت الغفلة من الموثق نفسه.

5- "**الباب الخامس في ذكر الأسماء والأعداد والحروف التي تنقلب وتتغير بإصلاح يسير**: اعلم جعلني الله وإياك ممن أخذ بالاحتياط وتجنب التفريط والإفراط: أنّ كثيرا من الأسماء يمكن قلبها وتغييرها بأدنى شيء من الإصلاح نحو: مظفر فإنه ينقلب إلى مظهر وبكر ينقلب إلى بكير ، وصفر فإنه ينقلب إلى ظفر، وياقوت فإنه يجيء منه يعقوب، ويجيء من جميل كميل، ويجيء أيضا من خليل...

فصل: وأما الأعداد: فقد قدمت في الباب الثاني تأكيد احتياج الأسماء والأعداد والتواريخ إلى البيان، وإن اهتمام الموثق بفصولها آكد من اهتمامه بغيرها، ولنذكر الآن من الأعداد التي يُحذر الزلل فيها ما حضرني ذكره فنقول: يجب على الكاتب أن يحذر من جبرة ثاء ثلاثين لئلا تغير بإصلاح يسير وتبدل بثلاث وثلاثين، أو ستة وثلاثين، وعين أربعين لئلا تصير أربعة وأربعين، وميم خمسين لئلا تصير خمسة وخمسين، وسين ستين لئلا تصير ستة وستين أو سبعة وستين..."

6- **الباب السادس: فيما عليه من أن الوثائق وذكر المعرفة والتعريف**: اعلم أن مدار الوثائق على ما ينظمه الإشهاد، وأما ما يأتي فيه من خبر وحكاية لم يتضمنه معرفة الشهود فليس يثبت بثبوت الوثيقة إلاّ أن يزيده الشهود عند شهادتهم أو يشهد بذلك غيرهم...

7- الباب السابع: في التأريخ وبأي شيء يؤرخ أباللياني أم بالأيام؟ واشتقاق الشهور وأسمائها وما يضاف إليه منها شهر وما لا يضاف إليه، وفي المذكر منها والمؤنث، وفي الألفاظ التي تستعمل في أول الشهر ووسطه وآخره، وما لابد للشاهد أن يؤرخ فيه شهادته من العقود وما ليس عليه أن يؤرخه، وفي العقود التي تؤرخ باليوم والساعة:

اعلم أن الأمم لم تزل تؤرخ قديما وحديثا، فكانوا قديما يؤرخون بهبوط آدم صلى عليه وسلم من الجنة، ثم صاروا يؤرخون بالطوفان وغيره، وكانت العرب تؤرخ بأشهر حادث يقع عندهم من قتل ملك أو عموم خصب أو جدب أو غير ذلك، وأرخوا زمانا بنار إبراهيم، وبعام الفيل، وبتاريخ مولده صلى الله عليه سلم، وتاريخ العجم على حركة الشمس، فبعضهم يؤرخ من موت ذي القرنين وبعضهم من موت عيسى عليه السلام. وتاريخ العرب على حركة القمر وهو تاريخ آدم عليه السلام فيما ذكر بعضهم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا

أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [1]

8- " الباب الثامن: في حكم الاعتذار عما يقع في الوثيقة من محو أو بشْر أو ضرب أو لحن أو تخريج أو إقحام وكيفية الضرب والتخريج وكيفية الاعتذار ومحله:

اعلم أن الموثق يجب عليه أن يعتذر عن كل ما يقع في الوثيقة من محو أو بشْر أو ضرب أو لحن أو تخريج أو إقحام ثم راح يثبت هذه القاعة بالأدلة المختلفة ذاكرا اختلاف الأئمة حولها ومبينا حالات لحوق هذه اللواحق وأماكن الاعتذار عليها في الوثيقة، وكذا كيفية الضرب على الكلمة أو الجملة أو العدد والكيفية التي يقع بها الضرب، مبينا حتى اختلافه فيما إذا وقع في أول السطر أو وسطه أو آخره، بل حتى شكل الضرب وكيفيته...

---

[1] -التوبة 36.

9- **الباب التاسع في كيفية وضع الشهادة:** اعلم أن الشاهد إذا شهد على جميع فصول الوثيقة إن كانت من وثائق الإشهاد أو عرف جميع فصولها إن كانت من وثائق الاسترعاء فإنه يكتب شهادته عقب تاريخ الوثيقة مغلقة بختم، إن كتب بعده من يعرف من الفصول مثلما يعرف أو شهد على جميع فصول الوثيقة كتب مثل ذلك... "حيث بين الوثائق التي هي من وثائق الإشهاد والتي ليست منها والتي منها: بين كيف تكون الشهادة على كل ما جاء في الوثيقة، وكذا الشهادة على بعض ما جاء فيها، ثم كتابة الشهادة ومكانها، ومكان كتابة الشهادة ومكانها، ومكان كتابة شهادة الشاهد على بعض ما شهد عليه الشاهد الأول أو الذي سبقه... وهكذا، بحيث تكون الوثيقة من أوثق ما تكون عليه.

مصادر الكتاب:

ولقد كفانا كذلك الشيخ أبو العباس عناء البحث والتتبع لمصادر الكتاب إن ما من قارئ له إلا ويجد الشيخ يذكر صراحة مصادره ذاكرا لها بأسمائها أو بأسماء مؤلفيها، أو ناقلا لنصوص لا

يجد عناء في الكشف عن مصادرها ومن هذه المصادر أذكر بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر:

المترع النبيل في شرح مختصر خليل لابن مرزوق التلمساني، الإحكام في تمييز الفتاوى من الأحكام لشهاب الدين القرافي، وثائق ابن العطار، وابن الهندي وابن مزين ومختصر ابن عرفة، وتبصرة الحكام لابن فرحون، ووثائق ابن زمنين، وابن مغيث، وابن فتوح والجزيري، كتاب الشهادات للمتيطي، والغرناطي، وغرائب الأحكام لأبي المطرف السبعي، وأحكام ابن سهل.

مكانة الكتاب بين سائر كتب علم التوثيق:

لقد جاء الشيخ أبو العباس بكل ما يحتاج إليه الموثق في كل صغيرة وكبيرة من المستوى الأخلاقي وأبسط أحكام التوثيق إلى أدقها مما جعل كل من جاء بعده من الموثقين أو من المؤلفين في علم التوثيق لا يستطيع أن يستغني عنه أبدا، فصار المصدر الرئيسي لكل موثق ولكل باحث ومؤلف إلى يومنا هذا، وجدير بكل مهتم بهذين الميدانين الاطلاع على هذا الكتاب والوقوف على ما فيه من أخلاق للموثق وأحكام ومسائل في التوثيق خاصة في هذه الأيام التي تعقدت الحياة على الناس وصاروا محتاجين إلى ضبط وتوثيق عقودهم المختلفة حتى تصان الأموال والأعراض والأنساب و...

النسخ المخطوطة:

النسخة الأولى: نسخة الخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة بالمملكة المغربية تحت رقم: 352.

وأولها: "الحمد لله الذي بحمده يفتتح ويختتم، ويستكمل كل أمر ذي بال ويستتم، وصلى على سيدنا ومولانا محمد الذي أكمل به الرسالة والنبوة وختم، وعلى آله شموس الهدى وأقمار الدجى وبدور الظلم، وأصحابه أعلام السنة وسلم، صلاة وسلاما..."

وآخرها: في الدعاء بالتوفيق والهداية إلى سواء الطريق والختم بالحسنى وحلول المقام الأسنى، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا فيه إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين"[1]

النسخة الثانية: نسخة الخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة بالمملكة المغربية تحت رقم: 1/355

أولها: "الحمد لله الذي بحمده يفتتح كل أمر ويختتم، ويستكمل كل أمر ذي بال ويستتم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد

[1] - فهرس مخطوطات الخزانة العلمية للمسجد الأعظم بتازة لعبد الرحيم العلمي: 468/1 —469، ط/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

الذي أكمل به النبوة والرسالة وختم، وعلى آله شموس الهدى وأقمار الدجى وبدور الظلم، وأصحابه أعلام السنة..."

وآخرها: " وأدركه الشيخ أبو الحسن ابن حرزهم وهو مقيد وتبرك به ودعا له ونال من بركاته وحمد الله والده على ذلك وقال لي: يا ولدي حدث عندك بدعاء أبي الفضل. انتهى ما وجد من هذا التأليف المبارك"[1]

النسخة الثالثة: نسخة الخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة بالمملكة المغربية تحت رقم 2/355.

وأولها: "بدعاء أبي الفضل سرى وعهده فيك، وحكى بعضهم أن أبا الفضل هذا أحيا ليلة بسجدة يدعو فيها على القاضي أبي محمد دبوس قاضي مدينة فاس ومؤلف كتاب الإعلام بالمحاضر والأحكام..."

وآخرها: قال ابن رشد في فائق الجامع: بقفصة وغيرها من البلاد أن الرجل إذا أراد نكاح المبتوتة كلفها أن تشهد على نفسها أنها سمعت مطلقها يقول لها. انتهى"[2]

النسخة الرابعة: المطبوعة طبعة حجرية سنة 1298هـ بفاس بالمملكة المغربية.

---

[1] - نفس المرجع السابق 470/1.

[2] - نفس المرجع السابق 471/1.

أولها: "الحمد لله الذي بحمده يفتتح ويختتم، ويستكمل كل أمر ذي بال ويستتم..."

وآخرها: أن الرجل إذا أراد نكاح المبتوتة كلفها أن تشهد على نفسها أنها سمعت مطلقها يقول لها"

قائمة المصادر والمراجع:

1. دراسات في علم المخطوطات والبحث البيليوغرافي لأحمد شوقي بنبين، ط/ جامعة محمد الخامس المملكة المغربية
2. قواعد تحقيق المخطوطات لصلاح الدين المنجد، ط/ دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان
3. تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي ط/ ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
4. تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك الميلي، ط/ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976م
5. نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي، ط/ مصر 1351هـ
6. الخيرية للمنجور ط/ دار الغرب 1336هـ 19٪6م، بيروت لبنان.
7. المغرب عبر التاريخ، إبراهيم حركات ط/ دار الرشاد، المغرب الأقصى.
8. الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، السلاوي أحمد،ط/ المطبعة البهية بالقاهرة 1312هـ
9. الجزائر عبر التاريخ تأليف مجموعة من الدكاترة منهم الدكتور عبد الحي حاجيات ط/ المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984.
10. البستان لابن مريم ط/ الجزائر 1326هـ/1908م.
11. مقدمة ابن خلدون ط/ دار صادر بيروت لبنان.
12. الوفيات للونشريسي ط/ دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط 1396هـ- 1976م
13. شجرة النور الزكية لمخلوف ط/ دار الكتاب العربي- بيروت.

14. سلوة الأنفاس ط/فاس المملكة المغربية.
15. فهرست المنجور، ط/ المملكة المغربية
16. دوحة الناشر لابن عسكر، ط/ المملكة المغربية
17. فهرس مخطوطات الخزانة العلمية للمسجد الأعظم بتازة لعبد الرحيم العلمي، ط/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

فهرس المواضيع

الموضوع:	الصفحة:
تحقيق مخطوطات العلوم الإسلامية	05
مقدمة	07
المبحث الأول: مرحلة البحث والتنقيب عن المخطوط	11
المطلب الأول: البحث عن عنوان المخطوط في الفهارس	11
المطلب الثاني: التنقيب عن المخطوط خارج الفهارس	12
المبحث الثاني: مرحلة تقييد المعلومات الخاصة بالمخطوط الذي يراد تحقيقه	15
المطلب الأول: تعيين مكان تواجده ومن ملكه أو يتملكه حاليا	15
المطلب الثاني: ترجمة المخطوط	15
المطلب الثالث: وصف المخطوطة ماديا	18
المبحث الثالث: مرحلة التحقيق	25
المطلب الأول: التحقيقات	25
1-التحقق من صحة عنوان الكتاب	26
2- التحقق من صحة نسبته إلى مؤلفه	26

3- التحقق من نسخة خط المؤلف ——— 27
4- التحقق من نقول المؤلف ——— 27
5- المقابلة بين النسخ ——— 27
6- التنبيه على اختلاف النسخ ——— 28
7- ترميز المخطوطات ——— 28
8- التنبيه على الزيادات ——— 28
9- إصلاح السقوطات ——— 29
10-بياضات النسخ ——— 29
11- تعليقات الحواشي ——— 29
• **المطلب الثاني:** التعامل مع خط المخطوطة ——— 30
- النقط ——— 30
- الضبط ——— 31
- أشكال بعض الحروف ——— 31
- القواعد الإملائية ——— 31
- الكلمات الخاصة ——— 32
- حروف المدّ ——— 32
• **المطلب الثالث:** التعامل مع الألفاظ والجمل المختصرة ——— 33
• **المطلب الرابع:** التعامل مع ضبط النصوص ——— 32

- **المطلب الخامس:** عنونة النص المحقق وترقيمه ـــــ 35
- **المبحث الرابع:** التهميش والرموز الخاصة بالتحقيق ـــــ 36
- **المطلب الأول:** الرموز الخاصة بالتحقيق ـــــ 36
- **المطلب الثاني:** التهميش ـــــ 38
- إرفاق التحقيق بصور من النسخ المعتمدة في التحقيق ـــــ 41
- **المبحث الخامس:** مقدمة التحقيق وفهارسه ثم نشره ـــــ 41
- **المطلب الأول:** الفهارس ـــــ 41
- **المطلب الثاني:** مقدمة التحقيق ـــــ 43
- **المطلب الثالث:** النشر ـــــ 44

أبو العباس أحمد الونشريسي

ومخطوطه: المنهج الفائق في علم الوثائق ـــــ 45

- مقدمة ـــــ 47

1- الحياة السياسية لعصر أبي العباس أحمد الونشريسي ـــــ 48

أ- تنازع الأمراء الحفصيين على قسنطينة وبجاية ـــــ 49

- تملك الحفصيين للمغرب الإسلامي ـــــ 51
- الأمير محمد بن الحمرة يتنكر للحفصيين ـــــ 52
- حملة السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان التأديبية على السلطان الزياني محمد المتوكل ـــــ 54

- محنة الشيخ أبي العباس أحمد الونشريسي وطرده من تلمسان ——— 55
ب- استبداد الوزراء المرينيين ——— 57
- نتيجة سوء الحكم في آخر دولة بني مرين ——— 58
- فترة حلول أبي العباس أحمد الونشريسي بفاس ——— 60
- اعتلاء بني وطاس عرش الدولة المرينية ——— 60
- السلطان محمد الشيخ الوطاسي ——— 61
- حالة المغرب الأقصى أوان اعتلاء الوطاسيين عرش الحكم ——— 62
البرتغال بالمغرب الأقصى ——— 63
جـ- سقوط دولة بني الأحمر واستيلاء الأسبان على غرناطة وطرد المسلمين منها ——— 65
- تنصير أهل الأندلس بعد سقوط غرناطة ——— 67
- إجلاء المسلمين من الأندلس بعد سقوطها ——— 68
2- الحياة العلمية والفكرية لعصر أبي العباس الونشريسي ـ 68
- طريقة التدريس ——— 73
- برامج التدريس ——— 73
- الكتب الأكثر انتشارا ——— 74

- موقف أهل العلم من تدريس المختصرات وعقمها ـــــ 75
- وصف حالة الطالب التعسة بالمغرب ـــــــــــــــ 76
المقارنة بين طريقة تعليم أهل إفريقية وأهل
المغرب ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 78
- نتائج الاقتصار على حفظ القرآن الكريم فقط ـــــــ 79
3- ترجمة الشيخ أبي العباس أحمد الونشريسي ـــــــــ 81
تاريخ ميلاده ثم وفاته ـــــــــــــــــــــــــــــ 81
بعض شيوخه ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ 82
بعض تلاميذه: ـــــــــــــــــــــــــــــــــ 83
بعض شهادات العلماء فيه ـــــــــــــــــــــــــ 83
آثاره العلمية ـــــــــــــــــــــــــــــــــ 84
عرض الكتاب المحقق ـــــــــــــــــــــــــــــ 85
اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه ـــــــــــــــــــــ 85
الغرض من تأليف الكتاب ـــــــــــــــــــــــــ 86
-- محتوى الكتاب ـــــــــــــــــــــــــــــــ 88
-- مصادر الكتاب ـــــــــــــــــــــــــــــــ 95
-- مكانة الكتاب بين سائر كتب علم التوثيق ـــــــــ 96
النسخ المخطوطة ـــــــــــــــــــــــــــــــ 97

- النسخة الأولى ـــــــ

... ومما لا شك فيه أن كل مُؤَلِّف لكتاب لو سُئِل: كيف تريد أن يُطْبع كتابك ويُنْشر؟ لقال: أريده صورة طبق الأصل من المخطوطة التي كتبتها بِيَديَّ أو التي أمليتها على من كتبها عنيّ وعرضها عليّ وثبّتها بعدها كما هي.

وإذا سألنا القارئ لهذا الكتاب: كيف تريد أن يكون هذا الكتاب بين يديك؟ لقال: أريده كتابا كما أراده مؤلفه، كما أريده سهلا في قراءته، سهلا في الاستفادة منه الاستفادة المثلى.

وإذا كان الجواب منهما هكذا كما تعلم، فيجب على كل من أراد تحقيق ونشر أي كتاب أن يحقق لمؤلفه ذاك المطلب الأسمى، ولقارئه هذا المطلب الأعظم.

وحتى يتسنى له هذا المطلب الأسمى يجب عليه أن يتبع في بحثه على الكتاب المخطوط الذي يريد طبعه ثم نشره، وفي وصفه وتقديمه للقارئ وفي تحقيقه: خطوات خاصة، وقواعد خاصة، وأدوات خاصة لأعمال خاصة.

فما هذه الخطوات يا ترى؟ وما هذه القواعد الخاصة لتحقيقه يا ترى؟ وما هذه الأدوات الخاصة وأعمالها الخاصة يا ترى؟ هذا ما سأحاول الإجابة عنه في هذا الكتاب بحول الله تعالى.

منشورات دار الأديب